

شرح النظم

المسمى

بسم الانشاء

تأليف

العلامة الشيخ

محمد مفتاح قريو

الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ

شرح النظم المسمى بسلم الانشاء



تأليف
العلامة الشيخ
محمد مفتاح قريو



التعريف بمؤلف سلم الإنشاء بإيجاز

اسمه :

هو محمد بن مفتاح بن محمد قريو، (بكسر القاف والراء
المشددة).

تاريخ ومكان ميلاده :

ولد بالتاريخ الهجري قبل فجر يوم الجمعة 26 جمادي الأول
1332 هـ. الموافق لأواسط مايو 1914 م، في مصراتة بالغيران
الغربية.

أخذه للقرآن والعلم :

قرأ القرآن على جده من جهة الأم الفقيه منصور بن حامد،
وعلى والده الشيخ مفتاح قريو - قدس سره -، وعلى صديق والده
الفقيه عبد الواحد الأصيفر، في جامع قريتهم.

ثم انتقل لقراءة العلم فأخذ مبادئ العلوم اللغوية، والشرعية،
والعقلية، والقرآنية، على جماعة: منهم والده الشيخ مفتاح قريو -
قدس سره - والشيخ محمود الزواوي، والشيخ رمضان أبي تركية،

والشيخ محمد بن منصور الزروقي ، وعن أستاذه الشيخ رحومة الساري .

ثم انتقل الأستاذ الساري إلى المعهد الأسمرى لتعليم العلم هناك قتبته المؤلف وأخذ عنه ، وعن الشيخ منصور أبي زبيدة ، وعن الشيخ أحمد بن سعيد ، وعن الشيخ أحمد المبسوط ، وعن الشيخ أحمد بن حامد .

وأكثر أخذه كان على الأستاذ رحومة الساري ، فلأزم حضور دروسه مدة عشر سنين ، وأخذ عنه في ثمانية عشر فناً ، فهو أستاذه الأكبر .

اشتغاله بخطة التدريس :

ثم عين مدرساً بالمعهد الزروقي ، فاشتغل فيه بخدمة العلم والتعليم مدة عشرين عاماً .

وألف في تلك المدة خمس تأليفات : لب العقائد ، وميدان الفوائد على لب العقائد ، وكشكول الضوابط في جمع الضوابط ، والدور الأول من الجهاد الليبي في الطليان ، والقصائد العشرة في جهاد الليبيين ومقاومتهم للطليان الفاشستين .

اشترائه في أخذ الشهادة العالمية :

ثم اشترك في امتحان الشهادة العالمية وتحصل بذلك الاشتراك على الشهادة العالمية .

وقرأ هناك على الشيخ عثمان المرزوقي المصري في أصول الفقه مرة ثانية - بعد قراءته على غيره - فأخذ عنه في مدة وجيزة تضاهي قراءة حولين كاملين في الفن المذكور ، بإخبار المؤلف نفسه .

رجوع المؤلف إلى التعليم:

ثم رجع إلى خدمة العلم والتعليم بعد أخذه الشهادة العالمية،
فألف اثني عشر بحثاً في تفسير آيات قرآنية، وفتاوي شرعية، وألف
تراجم أعيان العلماء من أبناء مصراتة القدماء، وتراجم الصحابة
المشهورين في الشمال الأفريقي، وترجمة أبي مريم السكوتي - إمام
جامع المرسى -، وترجمة الشيخ عبد السلام بن عبد الغالب المصراقي
صاحب كتاب الوجيز، وترجمة الشيخ محمد بن غلبون مؤرخ ليبيا بكتاب
التذكار. وكتبها خمسة آخر.

منها: ابتداء الحركة العلمية في البلاد المصراية، والوقائع
الحرية التي خاضها المصراطيون في مقاومة الجنود الإيطاليين،
وترتيب المعارك التي خاضها المصراطيون بدون مشارك، وتعليق على
الشرح المسمى بمنازل الفردوس لابن غلبون على نظم السوسي المراكشي
المسمى بالمقنع في فن الفلك على طريقة أبي مفرغ، وتسبيح قصيدة
جبل ديسان، التي خمّسها الشيخ بادي عثمان.

ولما بلغ المؤلف سبعين سنة اتضح له فساد التقليد، وفساد فتح
باب الاجتهاد، فسلك طريق الإصلاح، وتقاعد عن التعليم، وشرع
في جمع مآلفه، وزاد عليه أنظماً كثيرة، منها: نظمه لجواهر الفقه
المالكي، وهو نظم طويل يحتوي على ثلاثة آلاف بيت، ومنها أيضاً
جواهر الضوابط، وجواهر القصائد، وجواهر الرد على التنابله
القاصرين في الفروع الفقهية ويتفوهون بالفتوى من غير معرفة للقواعد
الشرعية، ومنها أيضاً الرد على المارقين، وقواعد نفية في علم
الفلك وأهمها قاعدة مدخل العام العربي، ومنها أيضاً اختصار لب
العقائد، ونظم الفرق الكلامية في الأمة الإسلامية، ونظم تعاريف

الإسلامي، ونظم ملوك بني العباس في بغداد، ونظم المجاز المفرد في البلاغة، ونظم سلم الإنشاء، ونظم أسباب التأليف، ونظم ترجمة المؤلف، ومنها خصائص الأمة الإسلامية التي اشتهرت في القرآن والأحاديث النبوية، ومنها أن المشقة تقتضي التخفيف، ودليله حديث: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة».

وغير ذلك من الأبحاث والتأليف النفيسة التي لا توجد في الكتب المألوفة كما لا يخفى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ

يقول أفقر العباد إلى الله، وأغناهم به عن سواه، محمد مفتاح
قربو المصرااتي - عفا الله عنه فيما مضى، وأصلح شأنه فيما يأتي - لَمَّا
أَلَفْتُ نَظْمِي الْمَسْمُومَ بِسُلِّمِ الْإِنْشَاءِ، لِإِعَانَةِ الطَّلَابِ، وَجَمَعْتُ فِيهِ مِنْ
أَصُولِ الْإِنْشَاءِ، وَشُرُوطِهِ، وَمَحَاسِنِهِ، وَعَيْبِهِ، وَفَنُونِهِ، مَا لَا يَوْجَدُ
مَجْتَمِعاً فِي كِتَابٍ، أَرَدْتُ أَنْ أَشْرَحَهُ شَرْحاً يَحُلُّ أَلْفَافَهُ، وَيَبَيِّنُ مَعْنَاهُ،
وَيَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ الْعِبَارَاتِ الَّتِي مِنْهَا نَظْمُنَاهُ، لِيَتَضَحَّ لَطَّلَابُ الْإِنْشَاءِ
مَا احْتَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَوَاعِدِ النَّفِيسَةِ، الَّتِي لَا تَوْجَدُ فِي غَيْرِهِ مَجْتَمِعَةً،
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ قَرَأَهُ يَكُونُ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي فَنُونِ الْإِنْشَاءِ السَّعَةِ، رَاجِئاً
مِنْ اللَّهِ الْإِعَانَةَ عَلَى إِتِمَامِهِ وَالتَّوْفِيقَ، وَالْهُدَايَةَ إِلَى سُلُوكِ أَقْوَمِ طَرِيقٍ.

وقد افتتحت النظم بالشناء على الله تعالى، فقلت:

نَحْمَدُ رَبَّنَا الَّذِي أَنْشَأَنَا
وَلِلْمَلُومِ بِالْحِجَا أَهْلَنَا
وَجَعَلَ اللَّسَانَ غُنُونًا عَلَيَّ
مَافِي الْفَوَادِ مِنْ كَلَامٍ خَصَلَا
وَحَصَّنَا بِبَيْتٍ خَيْرَ رُسُلِهِ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبَّنَا وَآلِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ

يقول أفقر العباد إلى الله، وأغناهم به عن سواه، محمد مفتاح
قرب المصرتي - عفا الله عنه فيما مضى، وأصلح شأنه فيما يأتي - لما
ألف نظامي المسمى بسلم الإنشاء، لإعانة الطلاب، وجمعت فيه من
أصول الإنشاء، وشروطه، ومحاسنه، وعيوبه، وفنونه، ما لا يوجد
مجتمعا في كتاب، أردت أن أشرحه شرحا يحل الفاظه، ويبين معناه،
ويشتمل على ذكر العبارات التي منها نظمناه، ليتضح لطلاب الإنشاء
ما احتوى عليه من القواعد النفيسة، التي لا توجد في غيره مجتمعة،
وليعلموا أن من قرأه يكون على بصيرة في فنون الإنشاء السبعة، راجيا
من الله الإعانة على إتمامه والتوفيق، والهداية إلى سلوك أقوم طريق.
وقد افتتحت النظم بالشاء على الله تعالى، فقلت:

نَحْمَدُ رَبَّنَا الَّذِي أَنْشَأَنَا
وَلَقَدْ لَقِينَا بِالْحِجَابِ أَقْلَنَا
وَجَمَلَ اللَّيْلَانَ غُثَاوَانَا عَلَى
مَا فِي الْفَوَادِ مِنْ كَلَامٍ خَصَلَا
وَحَضَّنَا بِبَيْتِ خَيْرِ رُسُلِهِ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَآلِهِ

الحمد لغة: هو الثناء على الذات بجميل الصفات؛ لأجل
اتصافها بجميل اختياري حقيقة أو حكماً.

فالاختياري حقيقة: كحمدنا لله تعالى على اتصافه بالتفضل
والإحسان، والعفو والغفران، وما أشبه ذلك من صفات الأفعال؛ لأن
المولى هو الفاعل المختار لجميع الأفعال.

والاختياري حكماً: كحمدنا لله تعالى على اتصافه بالقدرة
والإرادة والعلم والحياة وما أشبه ذلك من صفات الذات؛ لأن المولى
يؤثر بها في أفعاله الاختيارية، وكل ما به التأثير في الأفعال الاختيارية
يسمى اختياريّاً حكماً، هكذا نصوا.

والمعنى (نحمد) أي نذكر بالثناء الجميل (ربنا) أي مولانا عز
وجل (الذي) أنعم علينا بهذه النعم الأربعة التي هي من أجل النعم.
الأولى أنه (أنشأنا) أي خلقنا وأوجدنا، بمعنى أنه أخرجنا من
حيز العدم إلى حيز الوجود.

(و) الثانية أنه (للعلم) أي لقبول العلوم (بالحجا) أي بسبب
العقل. (أهلنا) بتشديد الهاء أي صيرنا أهلاً لقبول العلم بسبب
العقل.

(و) الثالثة أنه (جعل) أي صيّر (اللسان) أي لساننا (عنواناً) أي
دليلاً؛ لأن عنوان الشيء هو ما يجعل على ظاهره ليكون دليلاً على
ما في باطنه (على ما في الفؤاد) أي القلب (من كلام حصلا) بيان لما
الموصولة.

(و) الرابعة أنه (خصّنا) أي جعلنا مختصين (ببعث) أي بإرسال
(خير رسله) أي أفضل رسله، وهو نبينا محمد - ﷺ - أي جعلنا

مختصين برسالاته دون رسالة غيره من الأنبياء السابقين، فلم يجعلنا من أمة نوح، ولا من أمة موسى، ولا من أمة عيسى؛ وإنما جعلنا من أمة محمد - ﷺ - فنحن المقصودون على رسالته، وليست رسالته مقصورة علينا؛ لأنه مرسل لنا ولغيرنا من الإنس والجنّ والملائكة والحيوانات والأشجار والأحجار والأمدار.

وحينئذ فالباء بعد الاختصاص - - هنا - داخلية على المقصور عليه، لا على المقصور، وهو خلاف الغالب لكنه مستعمل وجيد كما ذكره الحبر الهمام السيد، (صلى عليه ربنا) جملة دعائية خبرية لفظاً إنشائية معنى؛ لأن معناها اللهم صل عليه (وآله) أي أمة إجابته؛ لأن آل النبي في مقام الدعاء هم أمة الإجابة، فتشمل كل مؤمن ولو عاصياً، وتشمل الصحابة من باب أخرى وأولى؛ لأنهم خيار الأمة كما لا يخفى.

وفي البيت الأول براعة استهلال، وهي أن يأتي المتكلم في أول كلامه بما يشعر بمقصوده، فقولنا: أنشأنا، يشعر بأن هذا النظم في فن الإنشاء على سبيل الإشارة.

وفي البيت الثاني تلميح لقول الأخطل:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفَوَادِ وَإِنَّمَا
جَمَلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ ذَلِيلًا

وبراعة الاستهلال والتلميح كلاهما من محاسن الإنشاء، كما سيأتي في ذكر محاسنه إن شاء الله تعالى.

ولما فرغت من الثناء على الله ورسوله، شرعت في بيان مزايا فنّ الإنشاء، فقلت:

وَيَفْعُذُ فَالْإِنْشَاءَ رَوْحُ الْأَدَبِ
وَمَيِّدٌ عَلَى عُلُومِ الْعَرَبِ
لِذَاكَ يُدْعَى بِأَمِيرِ الْعِلْمِ
وَعِلْمِ حُكْمٍ وَأَقْلَرِ الْقَهْمِ
قد نَصَّ العلماء على أن بعد كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب
إلى أسلوب آخر.

(و) المعنى انتقل (بعد) أي بعد الشئ على الله ورسوله إلى
بيان مزايا علم الإنشاء (ف) أقول: (الإنشاء) أي علم الإنشاء له
مزيّتان كبيرتان:

الأولى: أنه (روح الأدب) أي كالروح لعلوم الأدب كلها؛ لأن
الأدب كجسم، وعلوم الأدب الأخر كالأعضاء لذلك الجسم، وفر
الإنشاء كالروح له، ومن المعلوم أن الجسم إذا وجدت فيه الروح
يكون حياً ويستفاد منه، وإذا عدمت منه الروح لا يكون حياً ولا يستفاد
منه، وحينئذ فعلم الأدب إذا لم يكن فيها إنشاء لا تكون من العلوم
الحية، بل تكون كالجسم الميت الذي لا فائدة فيه.

(و) المزية الثانية أنه (سيد على علوم العرب) المنظومة في قول
بعضهم^(١).

نَحْوُ وَصَرَفِ غَرُوضٍ خَطُّهُمْ لُغَةً
ثُمَّ اسْتِثْقَاقَ وَقَرَضَ الشُّعْرَ إِنْشَاءً
كَذَا الْمَعَانِي الْبَيَانَ الْوَضْعُ قَائِمَةٌ
تَارِيخُهُمْ وَبَدِيعُ ثُمَّ إِمْلَاءُ

(١) هذه الأبيات من نظمنا.

فَتِلْكَ خَمْسٌ وَعَشْرُ لِبَنِي الْعَرَبِ
قَدْ تُبَيَّنَتْ وَلَهَا الْأَذَابُ أَشْمَاءُ

وإنما كان علم الإنشاء سيداً على علوم العرب كلها؛ لأنه يتصرف فيها تصرف السيد المالك في ممالكه، ويستعملها في جميع أغراضه ومواضعه، بل ويستعمل معها العلوم الشرعية والعقلية أيضاً؛ ولذلك سماه أكثر الأدباء بأمير العلوم؛ لأن جميع العلوم تحتاج إلى التدوين، والتدوين لا يتأتى إلا بالإنشاء. فمن لم يعرف الإنشاء لا يقدر على التدوين، كما يسمى أيضاً بعلم الحكام وأهل الفهم، لشدة اعتنائهم به، وكثرة احتياجهم إليه، ولتأكدته في حقهم أكثر من غيرهم؛ لأن المحاكم إذا كان أديباً منشئاً يكون كالبلد بين رعيته لا سيما الملوك والرؤساء كما لا يخفى.

ولما فرغت من بيان مزايا فن الإنشاء، شرعت في بيان سبب هذا التأليف، فقلت:

وَمَعَ ذَاكَ لَمْ أَجِدْ مَنْ كَتَبَا
فِيهِ كِتَاباً جَامِعاً مُهَذَّباً
لِأَجْلِ ذَا جَمَعْتُ مَا تَفَرَّقَا
فِي كُتُبِهِ مِمَّا بِهِ تَعَلَّقَا
وَبَعْدَ أَنْ نَقَّحْتُهُ بِفَهْمِي
قَرَّبْتُ حِفْظَهُ بِهَذَا النِّظْمِ

قد تقدم أن علم الإنشاء له مزايا عظيمة، (ومع ذلك) أي مع مزاياه التي تقدم ذكرها (لم أجد من) أعطاه حقه في التأليف، بحيث (كتب) الألف للإطلاق، أي ألف (فيه كتاباً) أي تأليفاً (جامعاً) لأصوله، وشروطه، ومحاسنه، وعيوبه، وفنونه (مهذباً) أي منقحاً

ومصفي من الغلث، بل كل من كتب فيه إما لم يجمع، وإما لم ينقح (لأجل ذا) أي فلأجل عدم وجود كتاب متصف بالجمع والتنقيح (جمعت ما تفرقا في كتبه) حالة كونه (مما به) أي بعلم الإنشاء (تعلقاً) أي مما تعلق به من أصول وغيرها (بعد أن نقحته) أي صفيته وغربلته من الغلث (بفهمي) أي بما ألهمني الله من الفهم (قربت حفظه) للطلاب (بهذا النظم) السهل القصير الذي لا يزيد على أربعة وأربعين بيتاً؛ لأن النظم أقرب في الحفظ من النثر، قال صاحب عقد اللآلي⁽¹⁾:

وَبَعْدُ فَالنُّظْمُ قَرِيبُ الْحِفْظِ
لَا مِثْمَا إِنْ كَانَ غَذِبَ اللَّفْظِ
ولما فرغت من بيان سبب التأليف، شرعت في بيان اسمه فقلت:

سَمِيَتْهُ بِسَلْمِ الْإِنْشَاءِ
يُرْفَى بِهِ لِلرُّتْبَةِ الْعَلِيَاءِ
وَاللَّهُ أَرْجُو الْوَفْقَ لِلْإِنْمَاءِ
وَأَنْ يَكُونَ نَافِعَ الْأَنَامِ

سُمِّي من الأفعال التي تنصب مفعولين، إلا أن مفعولها الثاني يجوز دخول الباء عليه، تقول: سَمَّيْتُ ابْنِي مُحَمَّدًا، وسميت ابني بمحمد.

والمعنى (سميته) أي سميت هذا التأليف (بسلم الإنشاء) أي جعلت سلم الإنشاء علماً له.

(1) عقد الآلي في علم الوصع - ص 3.

والسلم - بضم السين، وفتح اللام المشددة - اسم آلة حسية معروفة يرقى بها من أسفل البناء إلى أعلاه، وقد استعير - هنا - لما يكون آلة للرقى المعنوي لما بينهما من المشابهة (يرقى) بالبناء للمجهول أي يتوصل (به) أي بسببه إن شاء الله تعالى؛ لأن الموصل حقيقة هو الله، وهذا التأليف سبب في التوصل لا غير (للمرتبة) أي المنزل (العليا) أي العالية في فن الإنشاء؛ لأن من قرأه يكون عارفاً لأصول الإنشاء، وشروطه، ومحاسنه، وعيوبه، وفنونه، وكل من عرف ذلك نال أعلى مرتبة في فن الإنشاء.

(والله أرجو) أي أرجو الله لا غيره (الوفق) اسم مصدر بمعنى التوفيق (للإتمام) أي لإتمامه حتى يخرج إلى حيز الوجود (وأن يكون) أي وأرجو أن يكون (نافع الأنام) أي الخلائق الذين يقرؤونه بنية الانتفاع به.

وينحصر في مقدمة وبايين وخاتمة ثم قلت:

مقدمة في بعض مبادئ الفن العشرة

والمراد بالبعض - هنا - المبادئ الأربعة التي يتعين ذكرها؛ لعدم وجود مايدل عليها، وهي حده، وموضوعه، وثمرته، واستمداده، وأما الستة الباقية فلا يتعين ذكرها لوجود مايدل عليها في الجملة.

وقد بدأت ببيان حده، فقلت:

إِنشَاؤُنَا عِلْمٌ مُوَصَّلٌ إِلَى
كَيْفِيَّةِ التَّغْيِيرِ عَنْ مَعْنَى جَلَا
بِمَا يُعَدُّ حَسَنَ التَّرَكُّبِ
وَالْمُفْرَدَاتِ عِنْدَ أَهْلِ الْأَدَبِ

الإنشاء في اللغة يطلق على عدة معانٍ مختلفة: منها الإيجاد تقول: أنشأ الله العالم أي أوجده، ومنها الشروع تقول: أنشأ الغلام يمشي أي شرع في المشي، ومنها الوضع تقول: أنشأ فلان الحديث أي وضعه، ومنها النظم تقول: أنشأ فلان الشعر أي نظم.

وفي الاصطلاح: يطلق على معنى واحد، أشرت إليه بقولي - في النظم - إنشاؤنا علم موصل... إلخ. فنأ في إنشاؤنا عائدة على أهل فن الإنشاء، فهي مثل: نا في قول صاحب الألفية:

«كلامنا لفظ مفيد كاستقم *»

وموصل - بفتح الواو، وتشديد الصاد المهملة - اسم فاعل من وُصِّل المضعف، وهو وارد في القرآن وغيره، ومنه في القرآن قوله تعالى: ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾⁽¹⁾.

والمعنى (إنشاؤنا) أي فن الإنشاء في الإصطلاح (علم) بأصول وقواعد (موصل) أي يوصل من قرأه وفهمه (إلى كيفية) أي صفة (التعبير عن معنى جلا) أي ظهر (بما) أي بكلام (يعد) أي يحسب (حسن التركب والمفردات) أي يحكم عليه بأنه حسن في تركيبه وفي مفرداته (عند أهل الأدب) وهم أهل الإنشاء والكتابة، لأنه لا يحصل التمييز بين الكلام الحسن والردى إلا بذوقهم، فهم للكلام كالعيار للذهب الذي يحصل به التمييز بين جيد الذهب ورتبه.

ثم قلت:

مَوْضُوعُهُ نَشْرٌ وَنَظْمٌ لِكَلَامٍ
غَايَتُهُ تَحْسِينُ مَا مِنْهُ يَرَامُ
وَأَخْذُهُ مِنَ الْمَعْلُومِ كُلِّهَا
إِذْ لَا غِنَى فِيهِ عَنْ اسْتِغْمَالِهَا

قد تعرضت في هذين البيتين إلى بقية المادى الأربعة التي يتعين ذكرها، فقلت: (موضوعه) أي موضوع فن الإنشاء (نشر ونظم للكلام) أي الكلام المنشور والمنظوم.

(غايته) أي ثمرته وفائدته التي تستفاد منه (تحسين ما منه يرام) أي ما يرام ويقصد من الكلام، سواء كان نثراً أو نظماً.

(1) القصص، الآية: 51

(وأخذه) أي استمداده (من العلوم كلها) أي من كل العلوم، سواء كانت عربية، أو شرعية، أو عقلية (إذ) أي لأنه (لا غنى) أي لا استغناء (فيه) أي في الإنشاء (عن استعمالها) في مواضيعه؛ لأن المنشئ يحتاج لاستخدامها في جميع مواضيعه ولاستعمالها في جميع أغراضه، ولا يستثنى صنفاً من الكتابة بل يحوض في كل المباحث ويتعمد الإنشاء في كل المعارف الشرية.

ثم قلت :

باب أصول الإنشاء وشروطه

أَصُولُهُ عُرْفًا تُسَمَّى بِأَلْمَوَادِ
وَهِيَ ثَلَاثٌ فِي الْأَصَحِّ الْمُسْتَفَادِ

الضمير يعود على الإنشاء، فقولنا: (أصوله) أي أصول الإنشاء
(عرفاً) أي في العرف (تسمى بالمواد) أي يسميها علماء هذا الفن
مواد الإنشاء، والمواد جمع مادة، قال في القاموس: والمادة الزيادة
المتصلة⁽¹⁾.

فكلامه يدل على أن مادة الشيء هي ما يكون منها المدد لذلك
الشيء، ومنها مداد الحبر للكتابة.

والمراد هنا ما يكون منها المدد لإنشاء الكلام، (وهي) أي مواد
الإنشاء (ثلاث) لا أربع لها (في الأصح المستفاد) أي في القول
الأصح المستفاد من كلامهم، حيث قالوا: عناصر البلاغة لفظ ومعنى
وتأليف للألفاظ، يمنحها قوة وتأثيراً وحسناً.

الأولى: مادة ألفاظه، وإليها أشرت بقولي:

أَلْفَازُهُ الْقَصِيحَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ
فِي ذَوْقِ أَهْلِ الْأَدَبِ الذَّهَابَةِ

(1) القاموس المحيط - ج 1 - ص 337.

أي المادة الأولى من مواد الإنشاء الثلاثة هي (ألفاظه الفصيحة) احترازاً من غير الفصيحة؛ لأن غير الفصيحة كالماء الثقيل الغليظ الجامع بين الملوحة والمرارة (المستحسنة) احترازاً من الفصيحة غير المستحسنة؛ لأن غير المستحسن كالماء الذي فيه أحد الوصفين، إما ثقل وملوحة، أو غلظ ومرارة، وأما القسم المستحسن فليس فيه ثقل وملوحة، ولا غلظ ومرارة، بل هو خفيف عذب (في ذوق أهل الأدب) أي أهل علم الأدب (الدهاقنة) جمع دهقان، قال في القاموس: «الدهقان - بالكسر والضم - هو القوي على التصرف مع حدة، والتاجر، وزعيم فلاحى المعجم، ورئيس الإقليم، معرب، وجمعه دهاقنة»⁽¹⁾.

والمراد بالدهاقنة. هنا - العلماء الأقوياء في فن الإنشاء، وهم الجهابذة فيه؛ لأنهم هم الذين غربلوا الألفاظ اللغوية بفرمال الحُسن، فأخذوا منها الحُسْنَ دون غيره، قال الإمام الجاحظ في كتاب البيان: «أما أنا فلم أر قوماً أمثل طريقة من الكتاب، وذلك أنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً، ولا ساقطاً عامياً»⁽²⁾.

ومراد بالمتوعر ما فيه تنافر، وبالحشى ما فيه غرابة، وبالساقط العامي ما فيه مخالفة للقياس الصرفي.

وحينئذ فكلامه يقتضي أن الألفاظ قسمان: قسم غير فصيح، وهو الذي اجتنبه الكتاب ولم يلتمسوه، وقسم فصيح، وهو الذي التمسوه واستعملوه في إنشائهم ومكاتباتهم.

وهذا التقسيم الذي اقتضاه كلامه فيه مخالفة للواقع.

(1) القاموس المحيط - ج 4 - ص 224.

(2) ج 1 - ص 137.

ولا يوافق الواقع إلا ما ذكره ابن الأثير - في المثل السائر - حيث قال: «الألفاظ ثلاثة أقسام: قسم غير فصيح، وقسم فصيح مستحسن، وقسم فصيح مستكره».

فغير الفصيح هو ما ترك استعماله السلف والخلف؛ لعدم فصاحته، إما لتنافر حروفه، أو لغرابته، أو لمخالفته للقياس الصرفي.

والفصيح المستحسن هو ما تداول استعماله السلف والحلف من الزمن القديم إلى زماننا هذا؛ لفصاحته وحسنه.

والفصيح المستكره، هو ما تداول استعماله السلف دون الخلف، وصار الخلف يعيى على العرب استعماله، ويختلفون في سبب استعمالهم إياه، فبعضهم يقول: استعمالوه اختياراً مع استحسانهم إياه لفضاضة طبعهم، وبعضهم يقول: استعمالوه اضطراراً مع عدم استحسانهم إياه واعترافهم بقبحه وهو الأصح.

ولا يسبق وهمك إلى قول قصراء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا فهذا دليل على أنه حسن، بل ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مستحسنًا، والذي نستقبحه هو الذي كان عندهم مستقبحاً، وأن الاستعمال ليس بدليل على الحسن؛ لأنه قد يكون لضرورة فإننا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن، ولكن لا نستعمله إلا لضرورة، فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال.

وأعلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب، لأنه شيء ليس للتقليد فيه مجال، وإنما شيء له خصائص

الفلسفة، ونظم أهم غزوات الرسول، ونظم تاريخ التشريع
وعلامات، إذا وجدت علم حسنه من قبحه⁽¹⁾.

وقال أيضاً: «فإن قيل من أي وجه علم أرباب النظم والشر
الحسن من الألفاظ حتى استعملوه، وعلموا القبيح منها حتى تركوه؟

قلت في الجواب: قد علموا ذلك من الحسن والذوق؛ لأن هذا
من الأمور المحسوسة التي شاهدها من نفسها؛ لأن الألفاظ داحلة في
حيز الأصوات، فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن،
والذي يكرهه وينفر منه هو القبيح.

ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل، ولا ينفر من صهيل
الفرس، ويكره صوت الغراب، وينفر من نهيق الحمار، فكذلك
الألفاظ جارية هذا المجرى، فإنه لا خلاف في أن لفظة «المزة» حسنة
يستلذها السمع، وأن لفظة «الباق» قبيحة يكرهها السمع، وكلا
اللفظين من صفات المطر، ويدلان على معنى واحد، ومع ذلك فإنك
ترى لفظة «المزة» وما جرى مجراها مألوفة الاستعمال عندهم، وترى
لفظة «الباق» وما جرى مجراها متروكة الاستعمال عندهم، وإن
استعملت فإنما يستعملها جاهل بأصول الأدب والإنشاء، أو من ذوقه
غير سليم ولا يعتد بكلامه، ولو كان عربياً خالصاً من الحاهلية
الأقدمين؛ لأن الأصل إذا عرف وجب الوقوف عنده، وعدم التعويل
على سواه». انتهى من المثل السائر باختصار وتصرف⁽²⁾.

إذا علمت ذلك، تعلم أن ما ذكره ابن الأثير في المثل السائر من
أن الألفاظ ثلاثة أقسام هو الذي يؤيده العقل والنقل؛ ولذلك تبعته في

(1) انظر المثل السائر - ج 1 من 171 - 176.

(2) المثل السائر ج 1 - ص 91 - 92.

هذا النظم حيث قلت: ألفاظه الفصيحة المستحسنة؛ لأن ما وجدت فيه الفصاحة والحسن هو قسم الألفاظ الأدبية، وما وجدت فيه الفصاحة دون الحسن هو قسم الألفاظ الفصيحة غير الأدبية، وتستعمل في الشعر والنثر إذا دعت الضرورة إليها، كـ «الجرشي» في كلام أبي الطيب المتبي لما مدح سيف الدولة بقوله⁽¹⁾.

مُبَارَكُ الْأَنْسَمِ أَعَزُّ الثَّقَبِ
كَرِيمُ الْجَرَشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ
أي كريم النفس.

وكـ «عُتْل» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حِلَافٍ مِثْنٍ﴾ هـماز
مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم⁽²⁾.
وما فقدت منه الفصاحة والحسن، فهو قسم الألفاظ المهجورة التي لا يستعملها إلا الحلف العليط الطبع الذي لا ذوق له، كقول الأعرابي الذي سئل عن ناقته فقال: «تركنتها ترعى الخعخع».
وكقول امرئ القيس في مدحه لشعر رأس عذرة ابنة عُمَيْهِ⁽³⁾:

غَذَائِرُهُ مُسْتَشْرِزَاتٌ إِلَى الْعُلَى
تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ
أي مرتفعات إلى العلي.

وكقول بعضهم: مالكم تكأكتأم [أي اجتمعتم] عليّ كتكاكتكم
على ذي جبة افرنقوا [أي انصرفوا] غنى.

(1) ديوان المتبي 1 - 99

(2) القلم، الآيات: 10 - 11 - 12 - 13

(3) ديوان امرئ القيس - ص 17.

وكقول أبي النجم: (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ
الْوَاحِدِ الْفَرْدِ الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ

بفك الأجل، وما أشبه ذلك.

والحاصل أن المادة الأولى من مواد الإنشاء هي الفاظه المتصفة
بالفصاحة والحسن.

أما الفصاحة فهي في اللغة تطلق على معان يرجع جميعها إلى
البيان والظهور، قال الله تعالى: ﴿وَإِخَى هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي
لِسَانًا﴾ (٢) أي أبين مني منطقاً وأظهر مني قولاً، ويقال: أفصح الصبي
في منطقهِ إذا أبان وظهر كلامه، وقالت العرب: أفصح الصبح إذا بان
ضوءه، وأفصح الأعجمي، إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين.

وفي اصطلاح البلغاء والأدباء معاً: عبارة عن النطق بالألفاظ
البيّنة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم، والمألوفة الاستعمال بين الكتاب
والشعراء، وتكون وصفاً للكلمة والكلام والمتكلم حسيماً يعتبر
الكتاب اللفظة وحدها، أو مسبوكة مع أخواتها.

ولا تتصف الكلمة عندهم بالفصاحة إلا إذا خلصت وسلمت من
التنافر، ومن الغرابة، ومن خلف القياس الصرفي، قال في الجواهر
المكنون (٣):

فَصَاحَةُ الْمُفْرَدِ أَنْ يَخْلُصَ مِنْ
تَنَافُرٍ غَرَابَةٍ خَلْفِ رُكْنٍ

(١) جواهر البلاغة - ص ٦٥.

(٢) القصص، الآية: ٣٤.

(٣) شرح الجواهر المكنون - ص ٢٣.

فالتنافر: وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان، وصعوبة
الطلق بها، بسبب تقارب حروفها في المخرج أو تباعدها فيه، سواء
كان الثقل شديداً، كـ «الظئر» للموضع الخشن و«الخنخع» لبس
ترعاه الإبل، أو غير شديد كـ «التقاخ» للماء العذب الصافي،
وكـ «مستزرات» بمعنى مرتفعات.

والغربة هي كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة
الاستعمال، فتحتاج معرفتها إلى تفتيش عنها في كتب اللغة المطولة
المشتملة على غريب اللغة، نحو «تكاكأتم» بمعنى اجتمعتم، ونحو:
«أفرنقوا» بمعنى انصرفوا.

وخلف القياس الصرفي هو كون الكلمة شاذة غير جارية على
القياس الصرفي المستبط من كلام العرب، مثل: «الأجلل» في قول
أبي النجم: «الحمد لله العلي الأجلل» بالفك والقياس الأجل
بالإدغام، ولا مسوغ لفكه.

ويستثنى من ذلك ما ثبتت فصاحته مع شذوذه كـ «المشرق»
و«المغرب» بكسر الراء فيهما، والقياس فتحها؛ لأنهما من باب دخل
وقعد، والمفعل منهما مدخل ومقعد بالفتح لا بالكسر، وكأبى يأبى
بفتح العين في الماضي والمضارع، مع أن باب فعل - بفتح العين -
لا تكون عينه في المضارع مفتوحة كالماضي إلا إذا كانت عينه أو لامه
حرفاً من حروف الحلق الستة.

فإذا سلمت الكلمة من هذه العيوب الثلاثة تكون فصيحة؛ لأن
سلامتها من التنافر تجعلها خفيفة على اللسان، وسلامتها من الغربة
تجعلها مألوفة الاستعمال، وسلامتها من خلف القياس تجعلها قياسية
غير شاذة.

قال العلامة السيوطي في شرح عقود الجمان: «أما التنافر فيدرك بالحس، وأما الغرابة فتدرك بعلم اللغة، وأما خلف القياس فيدرك بعلم الصرف» انتهى كلام السيوطي بتصرف.⁽¹⁾

وأما الحُسْنُ فهو في اللغة ضد القبح، واصطلاحاً: كون الألفاظ خفيفة عذبة، يطرب السمع لسماعها، كما يطرب العطشان لشرب الماء الخفيف العذب.

وقد اختلف فيه، فذهب الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة⁽²⁾ وجواهر الأدب⁽³⁾، إلى أنه شرط رابع في الفصاحة، والكلمة عنده لا تكون فصيحة إلا إذا سلمت من التنافر، ومن الغرابة، ومن خلف القياس الصرفي، ومن الكراهة في السمع، واتصفت بالحس، وعُلِّل ذلك بأن الحسن يكون سبباً في كثرة الاستعمال، وكثرة الاستعمال تكون سبباً في الظهور، والظهور هو معنى الفصاحة لغة واصطلاحاً.

وقد اعترض عليه بعدة أمور:

- منها أن الكلمة قد تكون حسنة في ذوق زيد، وغير حسنة في ذوق عمرو؛ لأن الناس يختلفون في الذوق كما يختلفون في الفهم، وهو أمر مشاهد لا يقدر أحد أن ينكره.

- ومنها أن الكلمة قد تسحس في مكان وتستقبح في مكان آخر، فيلزم عليها أن تكون الكلمة فصيحة وغير فصيحة باعتبارين، وهو أمر لا يعقل.

(1) انظر شرح عقود الجمان - ص 8

(2) انظر جواهر البلاغة - ص 6 - 12.

(3) انظر جواهر الأدب - ص 30 - 32

- ومنها أن السعد في شرحه على التلخيص⁽¹⁾، جعل الحسن من صفات اللفظ العرضية؛ لأنه يرجع إلى طيب النغم، والفصاحة من صفاته الذاتية، لأنها ترجع إلى نفس اللفظ فهما متغايران.

- ومنها أن القسم الذي استعمله السلف دون الخلف إنما تركه الخلف؛ لأنه لم يتصف بالحسن عند أهل الأدب والإنشاء، فيلزم عليه أن يكون غير فصيح، مع أنه من قبيل الفصيح عند الجمهور.

- ومنها أنه يلزم عليه أن تكون الكلمة الفصيحة قليلة جداً؛ لأن كل مافيه تنافر غير فصيح، وكل مافيه غرابة غير فصيح، وكل مافيه خلف للقياس الصرفي غير فصيح، فلو قلنا: وكل مايكرهه السمع - على رأي الهاشمي - غير فصيح؛ لما ثبتت الفصاحة إلا لعدد قليل من كلمات اللغة العربية، ولا قائل بذلك.

وذهب الجمهور إلى أن الحسن شرط في كون الكلمة أدبية، وأن الألفاظ ثلاثة أقسام: قسم غير فصيح، وقسمان فصيحان أحدهما: مستحسن أدبي، والآخر غير مستحسن، وغير أدبي كما قال ابن الأثير في المثل السائر.

وهو الذي يؤيده العقل والنقل، وهذا عندي هو الصحيح؛ ولذلك درجت في هذا النظم عليه وتركت ماسواه.

الثانية من مواد الإنشاء، مادة مناسبة اللفظ لمعناه، وإليها أشرت بقولي:

وَأَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ ذَا مُنَاسَبَةٍ
فِي الْوَضْعِ لِلْمَعْنَى الَّتِي قَدْ صَاحَبَتْ

(1) انظر ح 1 - ص 45 - 46.

إِمَّا لِعُرْفٍ قَدْ جَرَى أَوْ اتَّفَاقٍ
مُسْتَحْسِنٍ يَظْهَرُ فِيهِ الْإِنطِبَاقُ

قد تعرضت في هذين البيتين، لبيان المادة الثانية من مواد الإنشاء، وهي مادة مناسبة اللفظ للمعنى، فقلت: (وأن يكون) أي والمادة الثانية أن يكون (اللفظ) أي لفظ الإنشاء (ذا مناسبة) أي مناسباً (في الوضع) أي في وضعه (للمعنى الذي قد صاحبه) أي استعمل فيه، وتلك المناسبة (إمّا) أن تكون (لعرف قد جرى) بذلك كلفظة «ذائبة» فهي في اللغة تطلق على كل ما دب على وجه الأرض، وقد خصصها العرف العام بخصوص ما يركب من ذوات الأربع، ثم خصصها تخصيصاً ثانياً بالحمار لا غير، فهي الآن لا تطلق إلا على الحمار؛ لجريان العرف بذلك.

وكلفظة «نَحْو» فهي في اللغة تطو على عدة معان مختلفة، منها القصد، ومنها الجهة، ومنها المقدار، ومنها العِشْلُ، ومنها البعض.

وقد أشار بعضهم إلى هذه المعاني الخمسة بقوله:

نَحُونًا نَحْوُ ذَاكَ يَأْخِيبِي
وَجَدْنَا نَحْوَ أَلْفٍ مِنْ رَقِيبٍ
وَجَدْنَاهُمْ عَوَاةً نَحْوَ كَلْبٍ
تَنُونُوا بِمَنْكَ نَحْوًا مِنْ قَرِيبٍ

وقد نقلها العرف وجعلها اسماً لمن من فنون العربية، وهو الفن الذي يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم أعراباً وبناء وإفراداً وجملة، فهي الآن إذا أطلقت لا تنصرف إلا إليه، لجريان العرف بذلك.

(أو اتفاق) أي توافق وتصادف (مستحسن يظهر فيه الانطباع)

أي التطابق كتسمية الليالي الثلاثة التي في أواسط الشهر العربي بالليالي البيض؛ فإنه من باب الاتفاق المستحسن الذي يظهر فيه تطابق الاسم للمسمى؛ لياض تلك الليالي بضوء القمر من أول الليل إلى الصباح.

قال أبوتمام لتلميذه البحتري: «وناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام، وكن كأنك خياط تقدر الثياب على مقادير الأجسام»⁽¹⁾.

وقال الماوردي في أدب الدين والدنيا: «أما المناسبة فهي أن يكون المعنى يليق بالألفاظ، إما لعرف مستعمل أو لاتفاق مستحسن حتى صارت تلك المعاني لو ذكرت بعد تلك الألفاظ كانت نافرة عنها، وإن كانت أفصح وأوضح لاعتیاد غيرها»⁽²⁾.

فإذا أمنت النظر في كلام أبي تمام، وكلام الماوردي وجدتهما يتفقان على أن المعاني هي القوالب للألفاظ بالنسبة للأدب المنشئ، لأنه يستحضر المعنى أولاً، ثم يضع اللفظ له ثانياً، على قدره، ومثله المؤلف والمدرس، وأما ما اشتهر بين الناس من أن الألفاظ قوالب للمعاني، فهو بالنسبة للقارئ والسامع؛ لأنهم يأخذون المعنى من المقروء والمسموع.

ويختلفان في تلك المعاني التي هي قوالب الألفاظ، فأبوتمام يجعلها من قبيل الأجسام الاعتبارية، ويجعل الألفاظ أثواباً لها، والثوب غير الجميل لا يزين البدن، بل يشينه في بعض الحالات، ولا

(1) جواهر الأدب - ص 28.

(2) أدب الدين والدنيا - ص 254.

يتزين الجسم إلا بالشوب الجميل، فيختار له الشوب الجميل الذي
تحل فيه الزينة، وهو اللفظ الحسن المناسب الذي يزين المعنى،
وعلى طريقة أبي تمام هذه فالألفاظ هي المزينة للمعاني.

والماوردي يجعل المعاني منازل اعتبارية ومحللات للألفاظ،
ويجعل الألفاظ حائلة في تلك المنازل والمحللات، والمحل غير
الجميل لا يزين من سكنه، بل يشينه ويحط من قدره في بعض
الحالات، ولا يتزين الساكن وينبسط ويتمتع إلا بالمنزل الجميل،
فيختار له المنزل الجميل الذي يتزين به وينبسط فيه، وهو المعنى
الحسن المناسب الذي يزين اللفظ النازل فيه.

وعلى طريقة الماوردي هذه فالمعاني هي المزينة للألفاظ.
والى هاتين الطريقتين أشار بعضهم بقوله:

تَزِينُ مَعَانِيهِ أَلْفَافُهُ

وَأَلْفَافُهُ زَائِنَاتُ الْمَعَانِي

فهذا البيت شطره الأول يشير إلى طريقة الماوردي، وشطره
الثاني يشير إلى طريقة أبي تمام، خلافاً لمن حمله على غير
الطريقتين المذكورتين، وجعل معناه أن كلا منهما مزين للآخر؛ لسوء
فهمه كما لا يخفى.

وبعض الأدباء جعل طريقة الماوردي من باب تنزيل الأشياء في
منازلها وإحلالها في محلها اللائق بها؛ لأن وضع الكلمة في المعنى
اللائق بها بمنزلة تنزيل الشخص في منزله التي يستحقها، وإحلاله
في محله اللائق به، فلا ينفر منه ولا يقلق، ولا يعد غريباً فيه، وأما
وضعها في غير المعنى اللائق بها، فهو بمنزلة تنزيل الشخص في غير
منزله التي يستحقها، وإحلاله في غير محله اللائق به، فينفر منه

ويقلق ويعد غريباً فيه، وهو توجيه حسن.

الثالثة من مواد الإنشاء: مادة جودة تركيب ألفاظه، وإليها أشرت بقولي:

وَجَوْدَةُ التَّرْكِيْبِ بِالقَوَاعِدِ
لَا يَسْتَمَاعُ اخْتِرَاعِ زَائِدِ
وَلَوْ بِاغْرَابِ لِيذِي ابْتِذَالِ
حَتَّى يُفِيدَ طُرْفَةَ الْمَقَالِ

قد تعرضت في هذين البيتين لبيان المادة الثالثة من مواد الإنشاء، وهي مادة جودة التركيب لألفاظه، فقلت:

(وجودة التركيب) أي والمادة الثالثة جودة التركيب (بالقواعد) أي بسبب مراعاة القواعد النحوية.

قال الهاشمي - في تعليقه على جواهر البلاغة -: «وأدنى الجودة أن يكون تركيب الألفاظ في الإنشاء، موافقاً للقواعد النحوية، وأعلىها أن يصل إلى حد الإعجاز إله باختصار»⁽¹⁾

وقال الحسن العسكري - في كتاب الصناعتين -: «مرجع الجودة في الجمل المركبة إلى أمرين: مراعاة القواعد والذوق السليم، وتختلف جودة التركيب أحياناً باختلاف التعبير عما يدور في النفس من المعاني اختلافاً طاهراً، فتجد في عبارات الأدباء من الحسن والجودة ما لا تجد في تعبير غيرهم، مع اتحاد المعنى الذي عبر عنه كل منهما، بل ويختلف الأدباء أنفسهم في أساليبهم، فقد

(1) انظر ص - 21 - 22 - ومن ص 32 - ص 33.

يعلو بعضهم في أسلوبه، فتارة يسيل رقة وعذوبة ويصل إلى القلوب، فيبلغ منها ما يشاء أن يبلغ، وذلك نوع من البيان يكاد يكون سحراً، وقد يكون دون هذه المتزلة قليلاً أو كثيراً، وهو مع ذلك من فصيح القول، وحسن البيان⁽¹⁾ إهـ.

وقولنا: (لا سيما مع اختراع زائد) يتعلق به بحثان:

الأول: في بيان معناه، والثاني: في بيان إعرابه.

فأما البحث الذي في بيان معناه، فلم أر من كتب على سيما كتابة أحسن وأوضح مما كتبه صاحب المصباح المنير حيث قال: السِّيُّ المِثْلُ، وهما سَيَّانُ أي مثلاً، وسَيِّماً مشدداً، ويجوز تخفيفه، وفتح السين مع التثقيب لغة قال ابن جنى: يجوز أن تكون ما زائدة في قوله: «وَلَا سَيِّماً يَوْمٌ بِذَاذَةِ جُلْجُلٍ»⁽²⁾ فيكون لفظ يوم مجروراً بها على الإضافة، ويجوز أن تكون موصولة، فيكون لفظ يوم بعدها مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: ولا مثل اليوم الذي هو يوم بذارة جلجل، إلى أن قال: ونقل السخاوي عن ثعلب أن من قاله بغير اللفظ الذي جاء به امرئ القيس فقد أخطأ، يعني بغير لا، وَوَجَّه ذلك بأن لا وسيماً تركيباً وصاروا كالكلمة الواحدة، وتساق لترجيح ما بعدها على ما قبلها، فيكون كالمُخْرَجِ عن مساواته إلى التفصيل، فقولهم: تستحب الصدقة في شهر رمضان، لا سيما في العشر الأواخر، معناه واستحبها في العشر الأواخر أكد وأفضل، فهو مفضل على ما قبله، وقال أيضاً: إن المعنى في قول امرئ القيس مضت لنا

(1) كتاب الصناعتين - ص 153.

(2) هذا عجز بيت، صدره: الأرب يوم لك مهـ صالح وهو من معلقة امرئ القيس -

انظر ديوان امرئ القيس ص 10.

أيام طيبة لكن ليس فيها يوم مثل يوم دارة جلجل، فإنه أطيب من غيره، وأفضل من سائر الأيام.

ولو حُذِفَت «لا» لكان المعنى: مضت لنا أيام طيبة مثل يوم دارة جلجل، فلا يبقى فيه مدح ولا تعظيم انتهى مصباح باختصار. (1)

وقياساً على ذلك يكون معناها - في نظامها هذا - أن التركيب الإنشائي إذا كان مراعاة القواعد النحوية يكون متصفاً بالجودة، لكن ليست مثل الجودة التي تكون مع اختراع شيء زائد؛ لأن الاختراع فيه فائدة زائدة فيكون أجود وأحسن كما لا يخفى.

وأما البحث الذي في بيان إعرابها فهو أن تقول: لا: نافية للجنس، وسي - بتشديد الياء - اسمها، مصوب بالفتحة الظاهرة، وسي مصاف، وما: اسم موصول، مسمى على السكون في محل جر مضاف إليه، ومع: مصوب على الطرية، متعلق بتكون محذوفة وجملة تكون المحذوفة صلة ما، واختراع: مضاف إليه، وزائد وصف لموصوف محذوف تقديره: مع اختراع شيء زائد.

ومعنى البيت بتمامه أن التركيب الإنشائي إذا كان مرتبطاً بالقواعد النحوية يكون متصفاً بالجودة، لكن ليست مثل الجودة التي تكون مع اختراع شيء زائد؛ لأن الاختراع فيه فائدة زائدة فتكون الجودة معه أبلغ وأحسن.

والاختراع يسمى أيضاً إبداعاً وابتكاراً، سواء كان في اللفظ نحو: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ (2) فإنه لم يسمع قبل نزول القرآن به.

(1) انظر المصباح المنير ص 321 - 322.

(2) الأعراف، الآية: 149.

أو في المعنى إلا أنه تارة يكون فطرياً، وهو ما أورده الطبع
 السليم بلا تصنع، ولا إعمال روية، ودل على بعض السداجة في
 قائله، كقول من سئل هل تسافر في البحر؟ فأنشأ يقول: (1)

لَا أَرْكَبُ الْبَحْرَ أَخْشَى
 عَلَيَّ مِنْهُ الْمَصَاطِبُ
 طَيْنُ أَنَا وَهُوَ مَاءٌ
 وَالطَّيْنُ فِي الْمَاءِ ذَائِبُ

وتارة يكون بتصنع وإعمال روية، يدلان على نجابة قائله،
 كقول ابن عنين في فخر الدين سليمان الرازي، حين دخلت في
 حجته حمامة لاجئة من صقر يريد اصطيادها. (2)

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانُ خَمَامَةٌ
 وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحَيْ خَاطِفِ
 مَنْ أَتْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنْ مَحَلُّكُمْ
 حَرَمٌ وَأَنْتَ مَلْجَأُ الْبُخَايِفِ

وتارة يكون بتصرف قوي وإغراب يُصَيِّرُ اللفظ المتبدل دقيقاً
 حسناً، وهذا النوع يسمى الطرفة والبادرة، وإليه أشرت على سبيل
 المبالغة في النظم بقولي: (ولو باغَرَابِ لذي ابتذال) أي هذا إذا كان
 الاختراع بدون إغراب، بل ولو كان باغراب.

والإغراب - بالعين المعجمة - مصدر أغرب، إذا أتى بشيء
 غريب غير مألوف.

(1) جواهر الأدب - ج 1 - ص 17

(2) جواهر الأدب - ج 1 ص 17.

والمراد هنا أن يتصرف في القريب المبتذل بما يُصَيِّرُه دقيقاً
حسناً.

والابتذال - لغة - الامتهان، فثوب البذلة هو ثوب المهنة
والحرقة، الذي يصير بكثرة الاستعمال رديشاً ضعيفاً وسخاً، لا يلبس
للجمعة ولا للسوق، فضلاً عن الأعياد والاحتفالات، كذلك الألفاظ
المبتذلة التي كثرت امتنانها، واستعمالها، وتداولها بين الحاص والمعام،
حتى ألحقت بألفاظ العوام، فإنها نصير بكثرة الاستعمال رديشة
وضعيفة ومخلوكة، لا تستعمل في التأليف العلمية، فضلاً عن
الإنشاء الأدبي، لكن إذا تصرف فيها الإنسان تصرفاً قوياً (حتى) أي
إلى أن (يفيد) بذلك التصرف (طرفة المقال) يكون قد أغرب وعُجِبَ
وأتى بالنوادر الطريفة العجيبة كقول الشاعر: ^(١)

نَرَأَى وَبِمَرَّةِ السَّمَاءِ صَقِيلَةً
فَأَثَرُ فِيهَا وَجْهُهُ صُورَةُ الْبَدْرِ

فإن تشبيه الجميل بالبدر أمر مشهور وقريب مبتذل، لكن لما
تصرف فيه بزيادة هذه النادرة الغريبة، حيث شبه السماء في حال
صقالتها بالمرأة التي تظهر فيها الصور، وجعل لوجه الجميل نوراً
يسطع في تلك السماء عند مقابلته لها، فيؤثر فيها حتى تظهر منه فيها
صورة تشبه القمر ليلة أربعة عشر في الشهر، أخرجه إلى حد
الإغراب؛ ولذلك قال ابن الأثير في المثل السائر:

«ولا أريد بذلك [أي بالإغراب] أن تكون ألفاظه غريبة، فإن
ذلك عيب فاحش، بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكاً

(١) شرح عقود الجمان - ص 170.

غريباً، يظن السامع أنها غير مافي أيدي الناس، وهي مما في أيدي الناس، وهناك معترك الفصاحة الذي تُظهر فيه الخواطرُ براعتها، والأقلامُ شحاعتها. انتهى من المثل السائر. (١)

ثم قلت:

وَفِي أَمِّ حَيْثُ مِنْهَا يَنْجَلِي
الْفَرْقُ بَيْنَ مُنْشِئٍ وَجَاهِلٍ
وَتَوْصِلُ الْمُنْشِئُ لِلْجِنَاسِ
وَالْحَلُّ وَالْعَقْدُ وَالْاِقْتِبَاسِ
وَصَنْعَةُ التَّضْمِينِ وَالتَّلْمِيحِ
إِذَا أَرَادَ أَذَبَ التَّلْمِيحِ

ولما فرغت من بيان مواد الإنشاء الثلاثة، شرعت في بيان الأهم منها؛ فأشرت في هذه الأبيات إلى أن أهمها جودة التركيب، حيث قلت: (وهي) أي جودة التركيب؛ لأنها أقرب مذكور، والأصل في الضمير أن يعود إلى أقرب مذكور (أهم) أي أكثر أهمية، فأفعل التفضيل على بابه، يقتضي المشاركة والزيادة؛ لأن مواد الإنشاء كلها مهمة، إلا أن جودة التركيب أكثرها أهمية (حيث) أي لأنها، فالحثية للتعليل (منها ينجلي) أي يظهر منها ويتضح (الفرق بين منشيء) أي قادر على الإنشاء (وجاهل) أي عاجز عن الإنشاء، لا جاهل بالمرءة؛ لأن الكلام ليس فيه كما لا يخفى.

ولذلك قال ابن الأثير في المثل السائر: وهذا الوصف [أي الذي هو جودة التركيب] صعب المنال، كثير الإشكال، يحتاج إلى

(١) المثل السائر - ج ١ ص ٩٧.

لطف ذوق، وشهامة خاطر، وليس كل خاطر يرَاقِي إلى هذه الدرجة، بل «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»⁽¹⁾.

ولا أريد بهذا القول إهمال جانب المعاني، بحيث يؤتى باللفظ موصوفاً بصفات الحسن والملاحة، وجودة التركيب، ولا يكون تحته من المعاني مايمثله ويساويه، فإنه إذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة في حسنها، إلا أن صاحبها بليد أبله، بل أريد أن تكون هذه الألفاظ جسماً حسناً لمعنى شريف.

على أن تحصيل المعاني الشريفة على الوجه الذي أشرت إليه أيسر من تحصيل الألفاظ المشار إليها، بدليل أنه يوجد كثير من الجهال الذين هم من السوق، أرباب الحرف والصنائع، ومامنهم إلا من يقع له المعنى الشريف، ويظهر من خاطره المعنى الدقيق، ولكنه لا يحسن أن يزوج بين لفظين.

وحينئذ فجودة التركيب هي التي بها يكون خلب العقول، وحصول الفرق بين العالم والجهول، لأن الناس كلهم مشتركون في استخراج المعاني، فإنه لا يمنع الجاهل الذي لا يعرف علماً من العلوم أن يكون ذكياً بالفطرة، قادراً على استخراج المعاني؛ لأن استخراج المعاني إنما هو بالذكاء، لا بتعلم العلم، بخلاف جودة التركيب فلا تكون إلا بتعلم العلم انتهى من المثل السائر بتصرف.⁽²⁾

ثم عللت أهمية جودة التركيب بعلة ثانية، فقلت: (وتوصل) أي ولأنها توصل، من أوصل الرباعي، كأكرم، أي تكون سبباً في إيصال الله (المنشئ للجناس) أي لصناعة الجناس (والحل) أي وصناعة الحل

(1) الحديد، الآية: 21.

(2) انظر المثل السائر - ج 1 - ص 97 - 98.

(والعقد) أي وصنعة العقد (والاقتباس) أي وصنعة الاقتباس (وصنعة التضمين) وسيأتي بيان الفرق بين العقد والاقتباس والتضمين إن شاء الله تعالى (والتلميح) وصنعة التلميح (إذا أراد) المنشئ (أدب التلميح) أي التحسين والتزيين، قال في القاموس: مَلَحَ الشاعر أتى بشيء مליح، وقال أيضاً: «وَالْحُسْنُ مَلَحٌ كَكَرَّمٌ فَهُوَ مَلِيحٌ»⁽¹⁾ إهـ.

وها أنا أشرح هذه الأمور الستة على الترتيب، فأقول:

أما الجنس فهو من المحسنات البديعية وهو نوعان: لفظي، ومعنوي، والمراد هنا اللفظي، وهو اتفاق الشطرين من البيت أو السجعتين من النثر في شيء من الأمور الراجعة للفظ مع اختلاف المعنى، ومنه ما يسمى تاماً، وهو ما اتفق في الحروف والشكل، ومنه ما يسمى محرفاً، وهو ما اتفق في الحروف، واختلف في الشكل.

قال بعض العلماء: الجنس للكلام كالملح للطعام، قليله يزين، وكثيره يشين، وأحسنه ما وقع في الكلام سهلاً عذباً من غير تكلف، كقول بعضهم - في الجنس التام في الشعر -:

رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ مَالُوا
إِلَى مَنْ عِنْدَهُ مَالٌ
وَمَنْ لَا عِنْدَهُ مَالٌ
فَمَنْهُ النَّاسُ قَدْ مَالُوا

وقالوا - في النثر - : «لا تحسن تأدية المعاني، إلا بمراعاة علم المعاني».

(1) القاموس المحيط جـ 1 ص 250

ومن الجناس المحرف في الشعر قول بعضهم:

رَأَيْتُ النَّاسَ مُنْفَضَّةً
إِلَى مَنْ عِنْدَهُ قِصَّةٌ
وَمَنْ لَا عِنْدَهُ قِصَّةٌ
فَعِنَهُ النَّاسُ مُنْفَضَّةً

وقالوا - في النثر على سبيل الدعاء - : «غفر الله ذُنُوبَكَ، وملاً من البركات ذُنُوبَكَ».

أي ذُلُوكَ؛ لأن الذنوب - بفتح الذال المعجمة - هو الدلو الكبير. إذا علمت ذلك تعلم أن الجناس يكون في الشعر والنثر، لا في الشعر فقط خلافاً لمن توهم ذلك.

وأما الحُلُّ: ويقال له نثر الشعر، فهو أن يحل الإنسان الشعر إلى لفظ النثر، وهو ثلاثة أنواع: مدموم، ومتوسط، ومحمود.

فإن كان من قبيل أخذ المعنى واللفظ من غير زيادة فهو مدموم، وعيب فاحش، وسرقة جلية، ونظيره من أخذ عقداً قد اتقن نظمها، وأحسن تأليفها فأوهاه وبدده، وأخرجه من صورة الحسن إلى صورة القبح.

وإن كان من قبيل أخذ المعنى واللفظ مع زيادة، فهو متوسط إلا أن الزيادة إن كانت أبلغ؛ لاختصاصها بمفضيلة كحسن سبك، أو إيضاح معنى، أو عدوية لفظ، أو تنمिम نقص، تصيره حسناً مقبولاً، كقول بعض المغاربة: «فَإِنَّهُ لَمَّا قَبِحَتْ فِعْلَاتُهُ، وَخُطِلَتْ بَجَلَاتُهُ، لَمْ يَزَلْ سُوءَ الظَّنِّ يَفْتَادُهُ، وَيُصَدِّقُ تَوَهُمَهُ الَّذِي يَفْتَادُهُ».⁽¹⁾

(1) شرح السعد - ج 3 ص 147.

حَلْ به قول أبي الطيب المتنبي:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ
وَصَدَّقَ مَا يَفْتَادُهُ مِنْ نَوَاهِمِ

فإن الزيادة التي في الحَلْ قد اشتملت على إيضاح للمعنى مع حسن السبك، ولذلك صار بها الحل حناً مقبولاً.

وإن كان من قبيل أخذ المعنى دون اللفظ، فهو محمود، وأحسنه ما انصلخ فيه المعنى من جميع اللفظ، كإسلاخ اللحم من جميع الجلد، بحيث يؤخذ المعنى ويصاغ بالفاظ غير ألفاظه، وهناك يتبين حذق الصائغ في صياغته، ويعلم مقدار تصرفه في صناعته، كقول بعضهم: «لَا تَلَمْ الْمُحِبَّ فِيمَا يَهْوَاهُ، حَتَّى تَطْوِيَ الْقَلْبَ عَلَى مَا طَوَّاهُ»^(١).

حَلْ به قول أبي الطيب المتنبي:

لَا تَعْذِلِ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ
حَتَّى يَكُونَ خَشَاكَ فِي أَحْسَابِهِ

وسيأتي الكلام على حل الشعر للتدرب على الإنشاء إن شاء الله تعالى.

وأما العقد فهو عكس الحل، وذلك بأن ينظم الإنسان شيئاً من القرآن أو من الحديث أو من غير ذلك على وجه يشعر بالذي أخذ منه، بأن يكون فيه غزْوٌ بقال ونحوه، ويغتفر فيه التغيير مطلقاً، ولو كثر، وما

(١) المثل السائر - ج ١ ص ١٠٦.

أُظِنَ فِي جَوَازِهِ خِلَافًا، فَلَا زَالَتِ الْإِثْمَةُ عَلَيْهِ فَمَنْ عَقَدَ الْقِرَآنَ قَوْلَ
بَعْضِهِمْ: ⁽¹⁾

أَتْلَيْتُ بِالَّذِي اسْتَقْرَضْتُ حَقًّا
وَأَشْهَدُ مَعْمَرًا قَدْ شَهِدُوهُ
فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْبَرِيَاءَ
عَنْتَ لِجَلَالِ هَيْبَتِهِ الْوُجُوهُ
يَقُولُ: وَإِذَا تَدَايَيْتُمْ بِذَيْنِ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاسْتَبْشِرُوا،
عَقْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: لِيَأْيِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِذَيْنِ إِلَى
أَجَلٍ مُسَمًّى فَاسْتَبْشِرُوا. ⁽²⁾

وَمِنْ عَقْدِ الْحَدِيثِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ: ⁽³⁾
فِي خَبَرٍ يَتَّخِذُ الْإِنْسَانُ فِي
دُنْيَاهُ كَيْفَمَا يَسْتَقِيمُ دِينُهُ
قَلْبًا شُكْرًا وَلِسَانًا ذَاكِرًا
وَزَوْجَةً صَالِحَةً تُعِينُهُ
عَقْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِيَتَّخِذَ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا،
وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً صَالِحَةً تُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ».
(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ)

وَمِنْ عَقْدِ الْمَثَلِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ:

(1) شرح عقود الجمان - ص 178.

(2) البقرة الآية: 282.

(3) شرح عقود الجمان ص 179.

قُلْ لِمَنْ يَطْلُبُ شَيْئًا بَعْدَ أَنْ
فَاتَ عَنْهُ «الصَّيْفُ ضَيَّعَتِ اللَّيْنُ»

عقده من المثل المشهور الذي يضرب لكل من يطلب شيئاً بعد
التفريط فيه في وقته حتى يفوت عنه إِبَانُ تحصيله.

وأما الاقتباس فهو أن يُضْمَنَ الإنسان كلامه المثلث أو المنظوم
شيئاً من القرآن أو من الحديث فقط، لا على وجه يشعر بالذي أخذ
منه، فلا يكون فيه عزو بقال ونحوه، ولا يغتفر فيه إلا سير التغير لوزن
ونحوه.

مثال الاقتباس من القرآن في النثر قول الحريري: «فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا
كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَهْوَأَ أَقْرَبَ»^(١) حَتَّى أَنْشَدَ فَأَغْرَبَ»^(٢).

وقول عبد المؤمن الأصبغاني صاحب أطباق الذهب: ^(٣) «فمن
عابن تلون الليل والنهار لا يغتر بدهره، ومن علم أن الثرى مضجعه لا
يمرح على ظهره، فياقوم لا تركضوا خيل الخيلاء في ميدان العرض،
«امتنم من في السماء أن يخسف بكم الأرض»^(٤).

ومثال الاقتباس منه في الشعر، قول بعضهم: ^(٥)

إِنْ كُنْتَ أَزْمَعْتَ عَلَى هَجَرِنَا
مِنْ غَيْرِ مَا جَرْمٍ «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ»

(١) النحل، الآية: ٧٧.

(٢) مقامات الحريري - ص ٢٣

(٣) شرح عقود الحمام ص ١٧٥

(٤) الملك، الآية: ١٦.

(٥) شرح السعد ج ٢ ص ١٤٣

وَأِنْ تَبَدَّلَتْ بِنَا غَيْرُنَا
فَدَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ^(١)

ومثال الاقتباس من الحديث في الشر قول الحريري:

«ثُمَّ إِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَبِهَا انْتِعَادُ الْعُقُودِ الدِّينِيَّاتِ»^(٢).

وقوله أيضاً: «شَهِتَ الْوَجُوهَ، وَقَبِحَ اللَّكَمَ وَمَنْ يَرْجُوهُ»^(٣).

اقتبس الأول من قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات»^(٤) والثاني من قوله - يوم حنين - «شَهِتَ الْوَجُوهَ»^(٥) بعد أن رمى الكفار بكف من حصباء.

ومثال الاقتباس من الحديث في الشعر قول بعضهم:

دَمُ الشَّهِيدِ يَخْكِي
وَرَدَا بِخَذِ تُرْكِي
«الْلُونُ لَوْنُ دَمِ
وَالرَّيْحُ رِيحُ مَسْكِ»

اقتبسه من قوله صلى الله عليه وسلم - في وصف الشهيد - «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَرَحُهُ يَدْمَى، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ»^(٦).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٢) مقامات الحريري ص ٩.

(٣) مقامات الحريري.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والسنائي والترمذي (التج الجامع - ٥٥١).

(٥) رواه الإمام أحمد والحاكم (فيص القدیر ج ٤ ص ١٥٣).

(٦) متفق عليه (رياض الصالحين - ص ٤٦٣).

وغالب ماتقدم لا تغيير فيه، ومثال ما عير يبراً قول الشهاب
الحجازي:

لَا تَدْعُ الْيَتِيمَ يَوْمًا وَكُنْ فِي
شَأْنِهِ دَائِمًا رَءُوفًا رَحِيمًا
أَزَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ
بِـ فَذَاكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (١)

وكثرة محييه من العلماء الأجلة تؤذن بجوره، فمن ذلك قول
الإمام أبي القاسم الرافعي:

الْمَلِكُ لِلَّهِ الَّذِي عَنِتُّ الْوُجُو
هُ لَهُ وَذَلَّتْ عِنْدَهُ الْأَرْبَابُ
مُتَفَرِّدًا بِالْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ قَدْ
خَبِرَ الَّذِينَ تَجَادَبَوْهُ وَخَابُوا
دَعْوَتَهُمْ وَزَعَمَ الْمَلِكُ يَوْمَ غُرُوبِهِمْ
فَدَسِيعُ لَمُونِ غَدَا مِنْ الْكَذَّابِ (٢)

وقول شيخ الإسلام أبي الفضل ابن حجر:

خَاضَ الْفَوَازِلُ فِي حَدِيثِ مَذَامِي
لَمَّا رَأَوْا كَالْبَحْرِ سُرْعَةَ سَنِيهِ
فَجَبْنَتْهُ لِأَصْوَنِ بَرٍّ هَوَاهُمُو
وَحَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ (٣)

(١) سورة الماعون، الأيتان: ١، ٢.

(٢) سورة القمر، الآية: ٢٦.

(٣) النساء، الآية: ١٤٠، الأعمام، الآية: ٦٨.

وقوله أيضاً:

يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ أَمْوَالُكُمْ
أَدُّوا زَكَاتَهَا وَلَا تَكْبُرُوا
مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصِيبَكُمْ فَارِغَةٌ
لِأَنكُمْ وَالْهَاسِكُ التَّكَاثُرُ،⁽¹⁾

وقول العلامة السيوطي: ⁽²⁾

أَيُّهَا السَّائِلُ قَوْمًا
مَالَهُمْ فِي الْخَيْرِ مَذْهَبٌ
اتْرُكِ النَّاسَ جَبِيحًا
«وَالِي رَبِّكَ فَارْغَبْ»⁽³⁾

وقوله أيضاً: ⁽⁴⁾

لَا تَكُنْ ظَالِمًا وَلَا تَرْضَ بِالظُّلْمِ
م. وَأَنْكِرْ بِكُلِّ مَا يُسْتَظَاعُ
يَوْمَ يَأْتِي الْحِسَابُ وَمَا لِلظُّلُمِ
مِنْ حِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ،⁽⁵⁾

فإن قلت: إن العقد والافتباس قد حصل بينهما تشابه والتباس،

فما الفرق بينهما؟

قلت في الجواب: الفرق بينهما من ثلاثة أوجه:

-
- (1) التكاثر، الآية: 1.
 - (2) شرح عقود الجمان ص 174.
 - (3) سورة الشرح، الآية: 8.
 - (4) شرح عقود الجمان ص 174.
 - (5) سورة غافر، الآية: 18.

الأول: أن العقد عام لأنه يكون من القرآن، ومن الحديث ومن الأمثال، ومن الحكم، بل ومن كلام العلماء، كالمثون الثرية التي نظمها بعض المتأخرين، وأما الاقتباس فهو خاص؛ لأنه لا يكون إلا من القرآن والحديث لا غير، لقول صاحب الجواهر المكنون: (1)

وَالْاِقْتِبَاسُ أَنْ يُضْمِنَ الْكَلَامُ
قُرْآنًا أَوْ حَدِيثَ مَيْدِ الْأَنَامِ

الثاني: أن العقد يغتفر فيه التغيير الكثير، وأما الاقتباس فلا يغتفر فيه إلا التغيير اليسير.

الثالث: وهو أحسنها - أن العقد لا بد أن يكون فيه عزو بقال ونحوه، وأما الاقتباس فلا يكون فيه عزو أصلاً، وحيث فقول أبي منصورين طاهر التميمي البغدادي:

يَأْمَنُ عَذَا ثُمَّ اغْتَدَى ثُمَّ اعْتَرَفَ
ثُمَّ انْتَهَى ثُمَّ ارْغَوَى ثُمَّ اعْتَرَفَ
ابْشِرْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ
إِنْ يَشْتَهُوا يُغْفَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ (2)

من باب العقد لا من باب الاقتباس، لا شتما له على العزو في قوله: ابشر بقول الله في آياته.

وقول الشهاب الحجازي:

مَا تَابَ ابْنُ مُوسَى وَهُوَ يَخْرُ كَامِلٌ
فَهَذَا كَمَا جَمَعَ الْمَلَائِكُ مُشْتَرِكٌ

(1) شرح الجواهر المكنون ص 172

(2) سورة الأنعام، الآية: 38

«يَأْتِيكَ الثَّابِتُ فِيهِ سَكِينَةٌ
مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ» (١)

من باب الاقتباس لا من باب العقد ؛ لعدم اشتماله على عزو بقال
وسحوه ، وقس على ذلك مايتيك من الأشعار ، واحكم عليه بما ذكرت
لك من الاعتبار ، فتفطن ولا تغفل .

وأما التضمن فهو أن يذكر الإنسان في شعره شيئاً من شعر غيره
مع التبيه على أنه من شعر الغير ، إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء ؛ لئلا
يتهم بالسرقة وإلا فلا حاجة إلى التبيه عنه ، كقول الشهاب المنصوري
في الخز: (٢)

إِلَيْكَ أَشْتِيَاقِي يَا كُنَافَةً رَائِدُ
فَمَالِي غِنَاءٌ عَنْكَ كَلًّا وَلَا ضَرْ
فَلَا زِلْتُ أَكْبَلِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
«وَلَا زَالَ مُتَهَلِّلاً بِخُرْعَائِكَ الْقَطْرِ»

ضمن المصراع الثاني في البيت الثاني من قول الشاعر: (٣)

أَلَا يَا اسْلُبِي يَادَارِمِي عَلَى الْبَلَاءِ
«وَلَا زَالَ مُتَهَلِّلاً بِخُرْعَائِكَ الْقَطْرِ»

ولا يضرب فيه التفسير اليسير . كقول الحريري - متهماً على
يهودي فيه داء الثعلب في رأسه - : (٤)

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٨ .

(٢) شرح عقود الحمام - ص ١٧٨

(٣) وهود والرمة .

(٤) شرح عقود الحمام ص ١٧٨ .

أَقُولُ لِمَنْشَرٍ غَلَبُوا وَغَضُّوا
 مِنْ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وَأَنْكَرُوهُ
 هُوَ ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا
 مَنْ بَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونَهُ

ضمن البيت الثاني من قول الشاعر: (1)

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا
 مَنْ أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي
 إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُهُ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَبِيَّةِ.

وتضمن البيت كاملاً يسمى : استعانة ؛ لأنه استعان بشعر غيره ،
 وتضمن المصراع فما دونه يسمى : رفوا وإيداعاً ، لأنه رفا شعره بشعر
 غيره وأودعه إياه ، وهو من خصائص الشعر كالعقد الذي تقدم ذكره
 وأما التلميح - بتقديم اللام على الميم - من لمحّة إذا نظر إليه ،
 فهو أن يشير الإنسان في كلامه إلى قصة ، أو شعر ، أو مثل من غير
 ذكره .

فالأول كقول بعضهم في غلام اسمه بدر: (2)

يَا بَدْرُ أَفْلَكَ جَارُوا
 وَعَلَّمُوكَ الشَّجَرِي
 وَقَبَّحُوا لَكَ وَضَلَى
 وَخَنُّوا لَكَ هَجْرِي

(1) وهو سحيم بن وثيل الرياحي .

(2) شرح عقود الجمان ص 180 .

فَلْيَفْعَلُوا مَا أَرَادُوا
لِأَنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرٍ

أشار به إلى قصة حاطب حين قال عمر بن الخطاب: دعني يارسول الله أقتل هذا المنافق، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - «لا تقتله لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

والثاني كقول بعضهم: ⁽¹⁾

لَعَمْرُكَ مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارِ تَلْتَضِي
أَرْقُ وَأَخْفَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ

أشار به إلى البيت المشهور من قول بعضهم: ⁽²⁾

الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرِو عِنْدَ كُرْبَتِهِ
كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

والثالث: كقول بعضهم، لمن تعجل السيادة والتصدر، قبل أوانهما:

فَإِنْ طَالَبْتَ مَا يُقْظَمُ
فَإِنْ تَفَجَّلَ بِهِ تُخْرَمُ ⁽³⁾

أشار به إلى قولهم - في المثل - «من تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه».

(1) وهو أبو تمام.

(2) لم أعثر على قائله.

(3) لم أعثر على قائله.

وما ذكرته في تعريف التلميح هو ما أشار إليه صاحب الجواهر
المكنون بقوله: (1)

إِشَارَةٌ لِبَقْصَةٍ بِشَرْحٍ مِثْلِ
مِنْ غَيْرِ ذِكْرِهِ فَتَلْمِيحٌ كَمَلٌ
والحاصل أن الأمور التي توصل إليها جودة التركيب لمن أراد
التلميح في الإنشاء ستة، ثلاثة يشترك فيها النظم والنثر، وهي
الجناس، والاقتباس، والتلميح، وواحد يختص به النثر وهو الحل؛
لأنه نثر الشعر، واثنان يختص بهما النظم، وهما العقد لأنه ضد
الحل، والتضمن لأنه فيه تظهر براعة الشعراء.

ولما فرغت من أصول الإنشاء، شرعت في بيان شروطه فقلت:

وَشَرْطُهُ إِطْلَاعُ كُلِّ رَاغِبٍ
عَلَى أَسَالِيبِ رَجَالِ الْأَدَبِ
وَحُلُوءٌ فِي نَزْمِهِ لِتَفْكَرِ
كَذَا هُدُوءُ الْجَوْ فَافْهَمْ وَادْرِ
وَصَوُغُهُ فِي زَمَنِ النَّفَاطِ
عِنْدَ فَرَاغِ الْفِكْرِ وَانْبِساطِ
[وَأَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ فِيهِ تَابِعًا
إِلَى الْمَعْنَى دُونَ عَكْسٍ فَاسْمَعَا
[وَذَا انْقِيَادٌ لِلْمَعْنَى دُونَهَا
عَنْفٍ وَأَكْرَاهُ عَلَيْهَا دَائِمًا
كَذَا التَّنْزِيبُ عَلَيْهِ حَتَّى
يَكُونَ مِثْلَ الطَّبَعِ فِيهِ بِنَا

(1) شرح الجواهر المكنون ص 173.

ضمير «وشرطه» يعود على الإنشاء، ولفظ شرط مفرد مضاف إلى معرفة فيعم ويكون بمعنى شروط؛ لأن جملة شروطه سبعة:

الأول: (اطلاع كل راغب) من إضافة المصدر إلى فاعله كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾^(١) أي أن يطلع كل راغب في الإنشاء (على أساليب) أي طرق (رجال الأدب) ليحذو حذوهم ويسير على منوالهم، وينبغي له أن يحفظ نبذة من كلامهم، خصوصاً إذا أراد إنشاء الشعر، فإنه يتأكد في حقه الحفظ أكثر من مريد الشر، لأن من كان خالياً من المحفوظ، يكون نظمه قاصراً رديئاً، ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ، فمن قل حفظه، أو عدم لم يكن له شعر، وإنما هو نظم ساقط، واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال، يقبل على النظم، وبالإكثار منه تستحكم الملكة وترسخ:

(و) الشرط الثاني (خلوة) أي انفراد عن الناس (في نزهة للفكر) أي في مكان منزله للفكر.

(كذا) حال مما بعده (هدوء الجو) أي وهدوء الجو حالة كونه مثل ذلك، أي في كونه شرطاً ثالثاً، والمراد بهدوء الجو سكونه وخلوه من الأصوات المشوشة.

فهذان الشرطان للسلامة من التشويش؛ لأن الخلوة تحصل بها السلامة من التشويش على حاسة البصر، وهدوء الجو تحصل به السلامة من التشويش على حاسة السمع (فافهم وادر) تكملة للبيت.

(و) الشرط الرابع (صوغه) أي جمعه وتأليفه (في زمن النشاط)

(١) سورة البقرة، الآية: 251.

أي نشاط الأعضاء وخفتها؛ لأنها أغصان للقريحة، والقريحة أزهار في تلك الأغصان، فإذا نشطت الأغصان، نشطت فيها الأزهار وتفتحت وأثمرت، وإلا ييبس في أكمامها ولم تثمر؛ فلذلك اشترط صوعه في زمن النشاط (عند فراغ الفكر) من الشواغل (وانبساط) أي انبساط الفكر وانشراحه.

قال بعض الأدباء: «ولا بد له من الخلوة، واستجادة المكان باثتماله على مثل المياه والأزهار، وفراغ الجو من الأصوات المشوشة؛ لاستتارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور، ثم مع هذا كله، فشرطه أن يكون على حمام، أي راحة ونشاط؛ فذلك أجمع له وأنشط لقريحته»^(٦).

(و) الخامس (أن يكون اللفظ فيه) أي في الإنشاء (تابعاً إلى المعاني)؛ لأن المعاني مرادة لذاتها، والألفاظ مرادة لغيرها، والشأن في المراد لغيره، أن يكون تابعاً للمراد لذاته؛ لأنه شرط فيه، والشرط تابع للمشروط، (دون عكس) أي دون أن تكون المعاني تابعة للألفاظ، (فاسمعا) تكملة للبيت.

قال في آداب المشيء: «ولا بد أن يجعل الألفاظ تابعة للمعاني، دون العكس، لأن المعاني إذا تركبت على سجيته، طلبت لأنفسها ألفاظاً تليق بها، فيحسن اللفظ والمعنى جميعاً، وأما جعل الألفاظ متكلفة والمعاني تابعة لها، فهو شأن من لهم شغف بإيراد شيء من المحسنات اللفظية، فيصرفون العناية إليها، ويجعلون الكلام كأنه غير مسوق لإفادة المعنى، فلا يبالون بخفاء الدلالات

(٦) انظر مقلة ابن خلدون ص 574.

وركاكة المعنى . انتهى من آداب المنشئ باختصار .⁽¹⁾

(و) السادس أن يكون اللفظ (ذا) أي صاحب (انقياد) أي خضوع (للمعاني) إظهار في محل الإضمار للإيضاح ، أي خاضعاً لها ومطيعاً (دونما) لفظ مازائدة بين المتضايقين ، أي دون (عسف أي تعسف (واكره) أي ودون إكره (عليها) أي على المعاني (دائماً) لأن المعاني منازل للألفاظ على طريقة الماوردي التي تقدم ذكرها ، وشأن النازل في محل أنه لا يستريح فيه ولا يرومه ، إلا إذا كان لائقاً به ، وإلا صار غير مستريح فيه ، ونافراً له ، وقلقاً منه .

قال العسكري - في كتاب الصناعتين - : « وإياك والتوعر ، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك ، فإذا لم تجد اللفظة واقعة في موقعها ، صائرة إلى مستقرها ، حالة في مركزها ، متصلة بسلكها ، بل وجدتها . قلقة في موضعها ، نافرة عن مكانها ، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن ، والنزول في غير أوطانها⁽²⁾ . انتهى المراد من كتاب الصناعتين وقال العلامة البستي في هذا المعنى :

إِذَا انْقَادَ الْكَلَامُ فَقَدْ عَفُوا
إِلَى مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الْمَعَانِي
وَلَا تُكْرِهْ بَيَانِكَ إِنْ نَأَى
فَلَا إِكْرَاهَ فِي دِينِ الْبَيَانِ

(كذا) حال مما بعده ، أي والشرط السابع (التدرب عليه) أي على الإنشاء ، حالة كونه مثل ذلك ، في كونه شرطاً لا بد منه .

(1) نقلته من جواهر الأدب ج 1 - ص 28 - 29 .

(2) ص 152 .

والتدرب - بالدال المهملة - هو التمرن على الشيء وممارسته،
ومعالجته بجرأة وولوع ورغبة، حتى يطلع عليه ويعرفه ويعتاده،
(حتى يكون) ذلك (مثل الطبع) الذي لا يتغير (فيه) أي فمن تمرن
عليه (بتأ) أي قطعاً وجزماً لا شك فيه ولا ظن.

قال بعض الأدباء: «وخير مايعول عليه في الإنشاء هو التدرب
والتمرن، على أن يستمر ذلك مدة طويلة، حتى يصير الإنشاء ملكة،
فلا يجد فيه الطالب بعد ذلك أية صعوبة إذا رغب في الإنشاء، خطابة
أو غيرها».

وقال ابن الأثير - في المثل السائر -: «من أحب أن يكون كاتباً،
أو يكون عنده طبع مجيب، فعليه بحفظ كلام الأدباء، والتمرن
والتدرب على الإلقاء، والإدمان على ذلك ليلاً ونهاراً مدة طويلة،
حتى تصير له في الإنشاء ملكة ينشئ بها من غير تكلف». انتهى من
المثل السائر باختصار. (1)

(1) انظر المثل السائر 108.

باب محاسن الإنشاء وعيوبه

مَحَاسِنُ الْإِنشَاءِ قُلُ وَضُوحُ
 صَرَاحَةُ جَزَالَةُ تَنْقِيبُ
 تَطَابِقُ تَنَاسُقُ عَلَى الدَّوَامِ
 كَذَا مُهَوَّلَةٌ لَهُ وَالْإِنْجَامُ
 تَأْتِقُ فِي الْبَيْدِ بِالْمَقَالِ
 الْمَغْذِبُ أَوْ بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالِ
 مَعَ اجْتِنَابِ كُلِّ مَا يُطْبَرُ
 وَكُلُّ مَا يُقْبَحُ أَوْ يُنْفَرُ
 كَذَا تَأْتِقُ لَدَى الْخِتَامِ
 مَعَ ذِكْرِ مَا يُشْمَرُ بِالشَّنَامِ

لما فرغت من الباب الأول، الذي ذكرت فيه مواد الإنشاء
 وشروطه، شرعت في الباب الثاني، الذي ذكرت فيه محاسن الإنشاء
 وعيوبه.

فأما محاسن الإنشاء فقد أشرت إليها في هذه الأبيات الخمسة
 بقولي (محاسن الإنشاء) جمع حُسْنٍ (قل) فعل أمر وفاعله متر فيه
 وجوباً تقديره أنت، والجملة الطلية خبر المبتدأ على رأي الجمهور،

إلى خفاء المعنى في غير المسائل الخمسة التي استثناهما المحاة وجمعها بعضهم في قوله:

وَمَرْجِعُ الضَّمِيرِ قَدْ تَأَخَّرَ
فِي خَمْسَةِ لَاغِيرٍ فِيمَا اشْتَهَرَ
فِي بَابِ نَعْمٍ وَتَنَازُعِ الْعَمَلِ
وَمُضْمَرِ الشَّانِ وَرُبِّ وَالْبَدَلِ

الخامس: اجتناب تشتيت الضمائر؛ لأنه يؤدي إلى خفاء معنى الكلام.

السادس: التعقيد اللفظي الناشئ عن كثرة التقديم والتأخير، والفصل بين المتلازمين، لأنه يؤدي إلى خفاء معنى الكلام.

السابع: التعقيد المعنوي الناشئ عن استعمال الكنايات الخفية، لأنه يؤدي إلى خفاء معنى الكلام.

فإن كان في الكلام شيء مما ذكر، فلا يكون متصفاً بالوضوح، بل يكون متصفاً بالغموض والخفاء.

وثانيها: (صراحة) وهي لغة الحلوص، قال في المصباح: «صرح الشيء - بالضم - صراحة، وصروحة حلوص من تعلقات غيره، فهو صريح، وكل خالص صريح، ومنه القول الصريح، وهو الذي لا يفتقر إلى اضممار أو تأويل، وصرح بما في نفسه، أخلصه للمعنى المراد على التفسير الأول، واذهب عنه احتمالات المجاز والتأويل على التفسير الثاني. انتهى باختصار.⁽¹⁾

ولا يكون الإنشاء صريحاً إلا إذا كان خالصاً للمعنى المراد،

(1) انظر المصباح ج 7 - ص 361.

ولا يحتمل سواه، بأن تكون مفرداته سالمة من التردد بين الحقيقة والمجاز، وتراكيبه سالمة من التردد بين الظاهر والمؤول، وجمله سالمة من التردد بين العطف والاستئناف، فإن كان فيه شيء من ذلك، فلا يكون متصفاً بالصراحة.

وثالثها: (جزالة) وهي لغة القوة والكثرة، قال في المختار: «اللفظ الجَزَلُ ضدُّ الركيك الضعيف»، وقال أيضاً: «عطاءٌ جَزَلٌ وجَزِيلٌ [أي كثير] وأجزل له من العطاء أي أكثره»^(١).

والمراد - هنا - أن يكون لفظ الإنشاء قوياً متيناً، دالاً على معانٍ فخمة كثيرة.

وقال صاحب الجواهر: ^(٢) الجزالة هي إبراز المعاني الشريفة، في معارض الألفاظ الأنيقة اللطيفة، كقول الشاعر الصابي - المتوفى سنة 384 هـ -

لَكَ فِي الْمَحَافِلِ مَنْطِقٌ يَشْفِي الْجَوَى
وَيَسُوعُ بِي أَذِنَ الْأَدِيبِ سُلَافَهُ
فَكَأَنَّ لَفْظَكَ لَوْلَوْ مَنَحَلٌ
وَكُنَّا أَدَانَا أَضْدَافَهُ

ورابعها: (تنقيح) وهو لغة تهذيب الكلام وتصفيته وتخليص جيده من رديئه، ويقال له أيضاً الضبط، وهو حذف فضول الكلام مع ترتيب الكلمات، ووضع كل كلمة في موضعها.

وفي الاصطلاح: قال صاحب الجواهر: ^(٣) نقلا عن خزانة

(١) المختار ص 118.

(٢) انظر جواهر الأدب ج 1 ص 19 - 20.

(٣) حواهر الأدب - ج 1 ص 27

الأدب، وزهر الآداب - «هو عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد جمعه نظماً كان أو نثراً، وتغيير مايجب تغييره، وحذف ما ينبغي حذفه، وإصلاح مايتعين إصلاحه، وتحرير مايدق من معانيه، وطرح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه؛ لتشرق شمس التهذيب في سماء بلاغته، وترشف الأسماع على الطرب رقيق سلافته.

فإن الكلام إذا كان موصوفاً بالمهذب، منعوتاً بالمنعج، علت رتبته ولو كانت معانيه غير مبتكرة.

وكل كلام قيل فيه: لو كان في موضع هذه الكلمة غيرها، ولو تقدم هذا المتأخر، أو تأخر هذا المتقدم، أو لو تمم هذا النقص بكذا، أو لو حذفت هذه اللفظة، أو لو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلوب، لكان الكلام أحسن، والمعنى أبين، كان ذلك الكلام غير منظم في سلك التهذيب.

وكان زهير بن أبي سلمى معروفاً بالتنقيح والتهذيب، وله قصائد تعرف بالحوليات، قيل: إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويهذبها وينقحها في أربعة أشهر، ويعرضها على علماء قبيلته مدة أربعة أشهر.

ولهذا كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مع جلالاته في العلم وتقدمه في النقد، يقدمه على سائر المحول من طبقة.

وخامسها: (تطابق) وهولغة التوافق، قال في المختار: «المطابقة الموافقة، والتطابق الاتفاق. وطابق بين الشيئين جعلهما

على خذو واحدٍ وألزقهُمَا. وأطبقوا على الأمر أي اتفقوا عليه. (١)

والمراد - ها - كون الألفاظ مناسبة للمعاني، ومطابقة لها وموافقة لحجمها، فلا تزيد عليها ولا تنقص، ويؤيده ما جاء في وصية أبي تمام لتلميذه البحتري، حيث قال له: «وناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام، وكن كأنك خياط تقدر الثياب على مقادير الأجسام». (٢)

فقوله. على مقادير الأجسام هو عين التطابق.

وسادسها: (تناسق على الدوام) وهو لغة تتابع الشيء على نظام واحد، قال في المختار: «النسقُ بالتحريك ما جاء من الكلام على نظام واحد. والنسقُ بالتسكين مصدر نسقَ الكلام إذا عطف بعضه على بعض، وبابه نصر، والتنسيق التنظيم». (٣)

والمراد - هنا - كون ألفاظ الإنشاء متناسقة، أي متظمة انتظاماً يجعلها كأنها متعاقبة، لشدة الألفة بينها والارتباط، وهو من محاسن الإنشاء الراجعة إلى الاتفاق بين ألفاظه، وأما المطابقة التي تقدم ذكرها فهي من محاسنه الراجعة إلى الاتفاق بين اللفظ ومعناه.

وسابعها: سهولة وإليها أشرت بقولي: (كذا سهولة له) أي سهولة له حالة كونها كذلك، أي في كونها من المحاسن.

والسهولة لغة ضد الحزونة والصعوبة.

والمراد - هنا - سلامة الكلام من التعسف في السبك، بأن

(١) مختار الصحاح ص 412.

(٢) جواهر الأدب ج 1 ص 29.

(٣) مختار الصحاح - ص 682.

يختار مَالاً مِنْهُ كَقَوْلِ بَهَاءِ الدِّينِ زَهِيرٍ - فِي الْأَشْوَاقِ :-

شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدٌ
كَمَا عَلِمْتُ وَأَزِيدُ
فَكَيْفَ تُنَجِّرُ خُبّاً
بِهِ ضَمِيرُكَ يَشْهَدُ

أو يختار ما سهل مأخذه، وخلا من اللبس والإشكال، كقول
الأخطل في أحسن ما يدخره الإنسان :

وَإِذَا افْتَقَرْتُ إِلَى الذُّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

قال بعض البلغاء :^(١) وأحذركم من التقعير والتعمق في القول
وعليكم بمحاسن الألفاظ والمعاني المستملحة، فإن المعنى المليح
إذا كسى لفظاً حسناً، وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً، كان في قلب
السامع أحلى، ولصدره أملاً، ولذلك قال البستي :

إِذَا انْتَقَذَ الْكَلَامُ فَقْذُهُ عَفْوَاً
إِلَى مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الْمَعَانِي
وَلَا تُخْرِجْ بَيَانَكَ إِنْ تَأَبَّى
فَلَا أَكْرَاهُ فِي دِينِ النَّبِيَّانِ

وثامنها : الانسجام، وإليه أشرت بقولي : (والانسجام) وهو لغة
جريان الماء .

وعند البلغاء والأدباء هو غاية السهولة، وضابطه أن يأتي النثر أو

(١) جواهر الأدب - ج ١ ص ١٩ .

الناظم بكلام خال من التعقيد اللفظي والمعنوي، بسيطاً مفهوماً، رقيق الألفاظ، جليل المعنى، لا تكلف ولا تعسف فيه، يتحدر كتحدّر الماء المنسجم، فيكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه، أن يسيل رقة، حتى تكون أغلب فقراته في النثر موزونة من غير قصد، وأبياته في النظم من قبيل المطرب، وربما دخلت في حيز المرقص، ولا يكون ذلك إلا ممن هو مطبوع على سلامة الذوق، وتوقد الفكر، وبراعة الإنشاء، وحسن الأساليب.

وتاسعها: (تأنق في البدء) أي في الابتداء، والتأنق لغة الإتقان والإحكام، قال في المصباح: «شيء أنيق مثل عجب وزنا ومعنى، وتأنق في عمله أحكمه واتقنه»⁽¹⁾.

والثائق في ابتداء الكلام، يكون إما (بالمقال العذب) وهو أن يجعل أول الكلام رقيقاً سهلاً، واضح المعاني، مناسباً للمقام، بحيث يجذب السامع مع الإصغاء؛ لأنه أول ما يقرع السمع.

(أو) بذكر (براعة استهلال) وهي أن يأتي المتكلم في أول كلامه بما يدل على مقصوده، (مع اجتناب كل ما يطيّر) بتشديد الياء الأخيرة، أي يصير السامع متطيراً منه (وكل ما يفتح أو ينفّر) قال السيوطي في شرح عقود الجمان: «ينبغي للمتكلم شاعراً أو كاتباً، أن يتأنق في الابتداء، ويبالغ في تحسينه بأعذب لفظ، وأجزله، وأرقه، وأسلسله، وأحسنه نظماً وسبكاً، لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن، ألا ترى إلى ابتداء امرئ القيس في تذكر

(1) المصباح المنير - ص 31.

الأحبة والمنازل، حيث قال: «قَفَا بُنْكٌ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ»
فوقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في مصراع
واحد».

وقال أيضاً - في براعة الاستهلال - «من الابتداء الحسن نوع
لطيف، هو اخص منه وأحسن، وهو ما شتمل على ما يناسب الحال
المُتَكَلِّم فيه، ويشير إلى ماسبق الكلام لأجله، ويسمى ذلك براعة
الاستهلال، لأن المتكلم فهم غرضه من كلامه عند رفع صوته،
والاستهلال هو رفع الصوت، كقول بعضهم في التهنة:

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَا وَعَدَا
وَكَوْنُ السَّعْدِ فِي أَفْقِ الْعُلَى ضَعْدَا

ومع ذلك يجب على المنشيء، أن يجنب في الابتداء ما يتطير
منه في المدح، وأن يتحاشى عن كل ما يقبح، أو ينفر النفوس.

وقد وقع التطير من أشياء، فقد حكى أن جريراً أنشد لعبد
الملك بن مروان قصيدته التي أولها:

«أَتَصْحُوا أَمْ فَوَؤَاذُكَ غَيْرُ صَاحٍ». فقال له عبد الملك: بل فؤادك
يابن الفاعلة.

وأنشد ذو الرمة لعبد الملك قصيدته التي أولها:

«مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يُنْسِكِبُ». - وقد كان يعين عبد الملك
رمص، فهي تدمع دائماً أبداً - فقال له: ماسؤالك عن هذا يابن
الفاعلة، وأخرجه من عنده.

وأنشد أبو النجم لهشام بن عبد الملك قوله في الشمس:

صَفَرَاءُ قَدْ كَادَتْ وَلَمَّا تَقْفُلِ
كَأَنَّهَا فِي الْأَفْقِ غَيْبُ الْأَحُولِ

وقد كان هشام بن عبد الملك أحول، فأخرجه وأمر بسجنه،
وأنشد البحري ليوسف بن محمد قصيدته التي أولها:

لَكَ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرُ آخِرُهُ

فقال له يوسف: بل لك الوليد والحرب يابليد.

ودخل اسحاق بن إبراهيم الموصللي على المعتصم - بعد أن
فرغ من بناء قصره بالميدان - فأنشده القصيدة التي مطلعها:

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَلَى وَمَخَاكِ

بِأَلَيْتٍ شَفَرِي مَالِذِي أَبْلَاكِ

فتطير المعتصم من قبح هذا الابتداء، وأمر بهدم القصر على
الفور. انتهى من شرح عقود الجمان باختصار. (1)

وقال شيخنا أحمد بن سعيد: «ومن جملة ما ينطير منه افتتاح
قصائد المدح والتهاني وما أشبههما بالنفي المحض، أو النهي، أو
الاستفهام الإنكاري».

وقال في الجواهر: «اعلم أن الكتابة لها أركان لا بد من إيداعها
في كل كتاب بلاغي ذي شأن».

أولها: أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة، فإن الكاتب
من أجاد المطلع والمقطع، والجدة التجديد والابتكار، أو بناء المطلع
على مقصد الكتاب، لأن من حسن الافتتاح، أن تجعل مطلع الكلام

(1) انظر شرح عقود الجمان - ص 180 - 181.

من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من ذلك الكلام، إن كان فتحاً ففتحاً، وإن كان هناءً فهناءً، وإن كان عزاءً فعزاءً، وهكذا.

وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام المراد منه.

ومن أدب المطلع ألا يذكر فيه ما يطير منه أو يستقبح لا سيما إن كان في التهامي، فإنه يكون أشد قبحاً، وإنما يستعمل في الخطوب النازلة، والنوائب الحادثة، ومتى كان الكلام في المديح مفتحاً بشيء من ذلك، تطير منه سامعته:

وإنما خصت الابتداءات بالاختيار؛ لأنها أول ما يطرُق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده، توفرت الدواعي إلى استماعه، وإلا فلا. انتهى من الجواهر باختصار. (١)

وعاشرها: التأنق في حالة الختام، وإليه أشرت بقولي: (كذا) حال مما بعده (تأنق لدى) أي في (الختام) أي التأنق في الختام، حالة كونه كذلك، أي في كونه من محاسن الإنشاء (مع) سكون العين لغة في مع (ذكر ما يشعر بالتمام).

قال في الجواهر (٢): وفعل الشاعر والنائر، أن يتأنقا في الختام غاية التأنق، ويجودا فيه ما استطاعا، لأنه آخر ما ينتهي إلى السمع، وآخر ما يتردد صده في الأذن، فهو كمقطع الشراب الذي ينتهي شيء حلوا راسب في الإناء، يكون آخر ما يمر بالضم، ويعرض على الذوق، فيشعر منه بما لا يشعر من سواه.

ولذلك ينبغي أن يكون الختام متميزاً عن سائر الكلام قبله بنكتة

(١) انظر جواهر الأدب - ج ١ - ص ٢٣ - ٣٩.

(٢) جواهر الأدب - ج ١ ص ٣٩ - ٤٠.

لطيفة، أو أسلوب رشيق، أو معنى بليغ، وأن يختار له من اللفظ،
 ماهو رقيق الحاشية، خفيف المحمل على السامع، سهل الورد على
 الطبع، ويتجافى به عن الإسهاب والتعقيد والثقل. وغير ذلك، وأن
 يكون مؤذناً بتمام الكلام، بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى، فلا
 ينتظر السامع شيئاً بعده، وإذا لم يكن المعنى دالاً بنفسه على التمام،
 حسن أن يدل عليه بكلام آخر، يذكر عقب الفراغ من سياقة الأغراض
 السابقة، وكثيراً ما يختم النائر بقوله: والسلام، أو بقوله: والله
 المستعان أو بقوله: والله أعلم، أو نحو ذلك.

وربما ختم بمثل، كختم الخوازمي رسالته، بقوله: فبالصبر
 تنال العلى، وعند الصباح. . . يحمد القوم السري.

ومن أمثلته في الشعر، قول ابن الرودي:

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَا أَحَبَّ وَصَالَكُمْ
 وَغَايَةُ مَجْهُودِ الْمُقِيلِ سَلَامٌ

ولذلك قال الأخضري في الجوهر المكنون: ^(١)

وَمِنْ سِمَاتِ الْحُسْنِ فِي الْخَتَامِ
 ارْدَافُهُ بِمُشْعِرِ التَّامِ

وبه تم الكلام على محاسن الإنشاء.

ثم قلت:

عُيُوبُهُ تَنَافَرُ وَخَبِيْثَةُ
 وَهْجَتُهُ سَهُوٌ عَنِ الْمَرْضِيَّةِ

(١) شرح الجوهر المكنون - ص 182.

جَفَافُ الْأَسْهَابِ وَحَدَّةُ السِّيَاقِ
رَكَّةٌ تَغْفِيْدُ وَتَكْرَارُ يُرَاقِ

ولما فرغت من محاسن الإنشاء، شرعت في بيان عيوبه،
فقلت: (عبوه) أي الإنشاء عشرة:

أولها: (تنافر) سواء كان في كل كلمة على حداها؛ لتنافر
حروفها، نحو: الخمخ، والمسجد، ومستشررات، أو في الكلام؛
لتنافر كلماته عند اجتماعها، نحو: بيت شاعر الجن الذي صاح على
حرب بن أمية، حتى مات، ثم جاء لأهله وأخبرهم عنه بقوله:

وَقَبِرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ
وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرِ

وثانيها: (وحشية) بالياء نسبة لما تُسْتَوْحَشُ منه النفوس؛ لغرابته
كتكاكتم بمعنى اجتمعتم، وافرثقوا بمعنى انصرفوا.

وهذان العيبان ضد الفصاحة؛ لأن كل ما فيه تنافر أو غرابة ليس
بفصيح.

وقد حكى عن صفى الدين الحلبي أن بعض الفضلاء أطلع
على ديوانه، فقال: لا عيب فيه سوى أنه خال من الألفاظ العربية،
فأجابه الصفى بقوله:

إِنَّمَا الْحَيْرُيُونُ وَالنُّزْدَبِيْسُ
وَالطُّغَا وَالشُّقَاخُ وَالْمَلَطَبِيْسُ

لُغَةٌ تَنْفَرُ الْمَسَامِيْعُ مِنْهَا
جِيْنُ تُرَوِّى وَتَشْمِيْزُ النُّفُوسُ

وَقَبِيحٌ أَنْ يُنْكَرَ الشَّافِرُ الْوُخْ
 حِي مِنْهَا وَيُتْرَكَ الْمَأْنُوسُ
 إِنَّ خَيْرَ الْأَلْفَافِ مَا طَرِبَ الشَّا
 بِعُ مِنْهُ وَطَابَ فِيهِ الْخَلِيلُ
 (و) ثالثها (هجنة) قال في المصباح: «الهجنة في الكلام العيب
 والقبح».

والمراد - هنا - أن يكون اللفظ سخيّاً، والمعنى مستقبحاً، سواء
 كان القبح عاماً في جميع الموضوع، كقول بعضهم:

وَإِذَا أَذْنَيْتَ مِنْهُ بَضَلًا
 غَلَبَ الْمَسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَضَلِ

أو كان خاصاً بالابتداء، وهي الأمور التي ينطير منها في ابتداء
 الكلام، مثل: قول جرير - لعبد الملك: «أتصحو أم فؤادك غير صاح»
 كما تقدم.

فالبصل إنما استقبّح في البيت السابق؛ لأن المقصود رائحته،
 وهي خبيثة بدليل أنه لم يستقبّح في قول ابن الوردي:

وَكَيْذَاقَ الْوَرْدُ مِنْ شَوْكٍ وَمَا
 يَخْرُجُ الشَّرْجُجُ إِلَّا مِنْ بَضَلٍ

لأن المقصود ما ينشأ عنه، وهو النرجس الطيب الرائحة،
 وكذلك الشطر الذي أتى به جرير، إنما استقبّحه عبد الملك؛ لأنه
 جاء به في مطلع القصيدة، بدليل أنه لو أتى به في غير مطلعها لما
 استقبّحه، بل ربما استحسنته منه، خصوصاً إذا أتى قبله بما يقتضي
 الاستفهام الذي جاء فيه.

ومن هنا يتضح لنا أمران :

الأول : أن الكلمة الواحدة قد تكون مستحسنة في موطن ، ومستقبحة في موطن آخر .

الثاني : أن الاستحسان ليس شرطاً في فصاحة الكلمة ، ولا لزم أن تكون الكلمة الواحدة فصيحة بالنسبة للموطن الذي استحسن فيه ، وغير فصيحة بالنسبة للموطن الذي استقبحت فيه . وهو ما قص لا يقبله العقل ، بل الكلمة إذا سلمت من التنافر والغرابة وحلف القياس الصرفي ، ينبغي أن تكون فصيحة ، سواء كانت حنة أو قبيحة ، وهو مذهب الجمهور ، تبعاً لابن الأثير ، خلافاً ليهشيبي التابع للجاحظ ، وعليه فالهجنة من العيوب التي هي ضد استحسان الكلمة لا ضد فصاحتها .

نعم إن اجتمع في الكلمة قبح وغرابة ، تكون مستهجنة لقبحها ، وغير فصيحة لغرابتها ، كقول الشاعر :

وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَبِهِ بِحُلْمٍ
إِذَا انْتَبَهَتْ نَوْمُهُ ابْتِشَاكًا

فالابتشاك في كلامه بمعنى الكذب ، وقد اجتمع فيه القبح والغرابة ، فهو مستهجن لقبحه ، وغير فصيح لغرابه .

ورابعها : (سهو عن المرضية) أي سهو عن الطريق التي رضىها الله للناس ديناً ، وهي طريق الإسلام ، وعرفه بعضهم : بأنه عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام ، كأن يأتي المثنى بما ينافي عقائد الإيمان ، أو قواعد الإسلام ، كقول المتنبي - في تشبيه ممدوحه بالله تعالى وهو كفر بدون شك ولا ريب :

تَقْصُرُ الْأَنهَامُ عَنْ إِذْرَاقِهِ
مِثْلُ الَّذِي الْأَفْلَاكُ مِنْهُ وَالْذَّنَابُ^(١)

وخامسها: (جفاف) وهو الاختصار الشديد المخل، كقول
الحارث بن حلزة - من شعراء القرن الثالث الهجري:

وَالْمَيْشُ خَبِرٌ فِي ظِلٍّ
لِ النُّوْكِ بِمَنْ عَاشَ كَذَا

وسادسها: (الإسهاب) وهو الإطالة الزائدة المملة في شرح
المادة، والعدول إلى الحشو، كقول بعضهم:

أَعْنِي فَنِي لَمْ تَذُرْ الشَّمْسُ طَالِعَةً
يَوْمًا مِنَ الدُّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا

ومنه كثرة توارد العوامل، على معمول واحد، كقول بعضهم:
«أقسم لا أعوذ أقوم أخطب فيكم».

وكذلك كثرة الجمل الاعتراضية، نحو: زيد - بارك الله فيه
ووفقه وأعانته ونجحه - مجتهد.

وكذلك كثرة تتابع الإضافات، نحو: غلام ابن خال أبي أمك
قد مات.

وسابعها: (وحدة السياق) وهي التزام أسلوب واحد من التعبير،
وطريقة واحدة من التركيب، بحيث تكون للأذهان كلالا، وللقلوب
ملالا، وهي تدل على أن المنشئ ركيك، وقليل العلم والفهم.

وثامنها: (ركعة) بدون تنوين؛ لضرورة الوزن، وهي لغة

(١) ديوان المتنبي - ج ٤ - ص ٢٠١.

الضعف، قال في المختار: رَكَ الشَّيْءُ بالكسر رَكَّةً وَرَكَكَةً رَكٌّ وَضَعَفَ فهو رَكِيكٌ. (١)

وقد تقدم في الجزالة أنه قال: اللفظ الجزل ضد الركيك. فتكون الركة ضد الجزالة.

والمراد بها - هنا - أن يكون الكلام رث الألفاظ والتركيب بحيث يكون لا فرق بينه وبين الألفاظ والتركيب التي تنطق بها العوام، أو يكون فيه ضعف تأليف، بسبب مخالفته للقياس الصرفي، كالفك في محل الإدغام نحو قول أبي النجم، والحمد لله العلي الأجل، وكجمع أفعل فعلاء، جمع مذكر سالماً في قول بعضهم:

فَمَا وَجَدْتَ بِنَاءَ بَنِي ثَمِيمٍ
خَلَائِلَ أَسْوَدِينَ وَأَخْمَرِينَ

وكجمع رُبِعٍ وَبَلَدٍ عَلَى أَفْعَلٍ في قول الأمين بن هارون الرشيد للجارية التي وجدها متخلعة عن الجواري، ونظر إليها فأعجبته:

يَأْقَاعِدَةٌ فِي الْأَرْبَعِ
مِثْلُكَ فِي الْأَبْدِ

أو بسبب مخالفته للقياس النحوي، كتأخير أخص الضميرين المتصلين، مع وجوب تقديمه في نحو قولك: الدرهم اعطيتهموك. وتأخير ماله صدر الكلام، من أدوات الشرط والاستفهام، وكالإخبار عن كان بلفظ كان، وكالتصريح بالكون المطلق الذي يجب حذفه،

(١) مختار الصحاح - ص 276.

(٢) بيت مشهور قائله الأعور الكلبي

إذا وقع صفة أو صلة أو خبراً أو حالاً، وقد اجتمعا في قول المتنبي. (1)

إِنْ كَانَ مِنْكَ كَانَ أَوْهُوَ كَائِنْ
فَبَرِثْتُ جَيْثِيذَ مَنْ الْإِسْلَامِ

وكالإخبار عن صار وما في معناها بالجملة الماضية، وكقديم أجمع على كل، والعين على النفس في التوكيد، وما أشبه ذلك.

وتاسعها: (تعقيد) وهو نوعان: لفظي، ومعنوي.

فاللفظي: هو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد؛ لخلل واقع في نظمه وتركيبه، بسبب كثرة التقديم والتأخير، والفصل بين المتلازمين بأجنبي، وغير ذلك، مما يوجب صعوبة فهم المعنى المراد، كقول الفرزدق - في مدح إبراهيم المخزومي، خال هشام بن عبد الملك:

وَمِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلِكُنَا
أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

وبيان ذلك: أن ما: نافية حجازية أو تيمية، ومثله: بالرفع اسم ما، أو مرفوع بالابتداء، وضميره عائد على إبراهيم المخزومي الممدوح، وحي: بدل من مثله، وقد فصل بينهما بكثير كما ترى. وجملة يقاربه: صفة لحي، وقد فصل بينهما بقوله: أبوه، وفي الناس: متعلق بمحذوف خبر ما، على أنها حجازية، وخبر المبتدأ، على أنها تيمية، وإلا مملوكاً: بالنصب على الاستثناء من حي، أو من فاعل يقاربه، وفيه تقديم المستثنى على المستثنى منه، على كلا

(1) ديوان المتنبي - ج 4 - ص 11.

الاحتمالين، وأبو أمه: مبتدأ، ومضاف إليه، وضمير أمه: عائذ على المملك الذي هو ابن أخت الممدوح، وأبوه: خبر عن قوله: أبو أمه، وقد فصل بينهما بقوله: حي، وبذلك حصل التعقيد.

والمعنى على سبيل التفصيل والترتيب: ما مثل إبراهيم المخزومي حي - أي أحد - يقاربه - أي مقارب له - في الفضائل موجوداً، أو موجوداً في الناس، إلا رجلاً مملكاً - أي أعطاه الله الملك - يدعى هشاماً، أبو أم الملك هو أبو ذلك الرجل الممدوح.

وعلى سبيل الإجمال: إبراهيم المخزومي لا يماثله في الفضائل، إلا ابن اخته هشام بن عبد الملك.

والتعقيد المعنوي: هو أن يكون انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى الكنائي المقصود من اللفظ، غير ظاهر، كقول العباس بن الأحنف:

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّاءِ عَنْكُمْ لِنَقْرُبُوا
وَنَسْكُبَ غَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِنَجْمُدَا

وبيان ذلك: أنه جعل سكب الدموع كناية عما يوجبه فراق الأحبة من الكآبة والحزن، وقد أصاب؛ لأن الانتقال من سكب الدموع إلى الكآبة والحزن ظاهر، لوجود المناسبة، فيكنى به عنه، لكنه جعل جمود العين كناية عما يوجبه تلاقي الأحبة من الفرح والسرور، وقد أخطأ، لأن الانتقال من جمود العين إلى الفرح والسرور غير ظاهر، لعدم وجود المناسبة، فلا يكنى به عنهما، ولو قال: لتسعداء، بدل لتجمدا؛ لظهرت الكناية؛ لأن الانتقال من السعادة إلى الفرح والسرور ظاهر، فيكنى بالسعادة عنهما.

والتعقيد المعنوي لا يميزه إلا علم البيان دون غيره؛ لأنه من باب الكناية، كما لا يخفى.

(و) عاشرها: (تكرار يراق) بالبناء للمجهول، والحملة صفة لتكرار، أي تكرار مراق ومرفوض؛ لكرهه السمع له، وهو ما كان لغير توكيد. وضابطه: هو ما وقع بعد فصل يسير، بدون ترتيب شيء عليه.

فخرج بقولنا: «بعد فصل» تكرار التوكيد، سواء كان في الاسم نحو: «أخاك أخاك إن من لا أخاً له»^(١)، أو في الفعل نحو: «أتاك أتك اللاحقون، احبس احبس»^(٢)، أو في الحرف نحو: «لا لا أبوح بحب بشة إنها»^(٣)، وسواء جرى به لقصد التقرير كما مثلنا، أو لطلب الإصغاء، كما كان يفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - في خطبه، فقد ورد أنه كان كثيراً ما يقول: «صَبِّحْكُمْ وَمَسَاكُم» عدة مرات في أول خطبه لطلب الإصغاء.

وخرج بقولنا: يسير، ما جاء بعد فصل كثير، فإنه لا يراق ولا يعد عيباً من عيوب الإنشاء؛ لوقوعه في القرآن، فقد كرر الله فيه قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ عدة مرات في سورة البقرة^(٤)، لكن بعد فصل كثير.

وخرج بقولنا: من غير ترتيب شيء عليه، التكرار لأجل ترتيب ما بعده عليه، فإنه لا يراق ولا يعد عيباً من عيوب الإنشاء، لوقوعه في القرآن أيضاً، فقد كرر الله تعالى قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

(١) هذا صدر بيت وعجزه. «كساع إلى الهيجاء بغير سلاح».

(٢) هذا عجز بيت وصدره. «فأين إلى أين النجدة بغيرتي».

(٣) هذا صدر بيت وعجزه: «أحدث علي موافقاً وعهوداً».

(٤) سورة البقرة، الآيات: ٤٠، ٤٧، ١٢٢.

إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن، وكرر قوله: ﴿ويل يومئذ
للمكذبين﴾ عشر مرات في سورة المرسلات، وكل ذلك للترتيب
الذي نزه القرآن عن وصمة العيب فتأمل.

ثم قلت:

تكملة في طبقاته وأقسامه

وَطَبَقَاتُهُ ثَلَاثٌ لِأَنَّهُ
سُفْلَى وَوَسْطَى ثُمَّ عَلِيًّا فَإِنَّهُ

ولما فرغت من عيوب الإنشاء، شرعت في بيان طبقاته فقلت:
(وطبقاته) أي الإنشاء (ثلاث) لا رابع لها، وكلها (لائقة) وحسنة:

الأولى: (سفلى) ومرجعها إلى الإنشاء الساذج، وهو ماعرى
عن رقة المعاني، وجزالة الألفاظ، والتأنق في التعبير، فهو بالكلام
العادي أشبه؛ لسهولة مأخذه، وقرب مورده، ويستعمل في المحافل
العمومية، ليقرب منال المعاني على جمهور السامعين، وفي المقالات
والتأليف العلمية، وتقرير الدروس، لينصرف الذهن إلى أخذ
المعنى، وليس دونه حائل من جهة العبارة؛ وفي المكاتبات الأهلية،
والرحلات والأخبار التاريخية، وما أشبه ذلك، والذي اشتهر بالإنشاء
الساذج السيوطي والماوردي والغزالي وابن الأثير وأبو الفرج
الأصبهاني وأبو الفداء.

(و) الثانية: (وسطى) ومرجعها إلى الإنشاء الأنيق، وهو
ماتوسط بين الإنشاء الساذج والعالي، فيأخذ من الساذج جلاءه
وسلامته، ومن العالي رونقه ورشاقته، ويصلح في مراسلات ذوي

المراتب، وفي الروايات المنقّمة، والأوصاف المهبة، وفي حطب المحافل، وما أشبه ذلك، والذي اشتهر بالإنشاء الأنيق الثعالي وابن خلكان وابن خلدون والطبري والفخري وابن المعتز والبها زهير وابن المقفع والمعودي.

(ثم بمعنى الواو، أي والثالثة: (عليا فائقة) ومرجعها إلى الإنشاء العالي، وهو ما شحن بغرر الألفاظ، وتعلق بأهداب المجاز، ولطائف التخيلات، وبدائع التشابه، فيفتن ببراغته العقول، ويسحر برونقه الألباب، ويصلح في الترسل بين بلغاء الكتاب، وفي المجالس الأدبية، وديباجة بعض التصانيف، وفي المناظرات والمقامات، وما أشبه ذلك من المواضع التي من شأنها الحماسة وتحريك العواطف.

والذي اشتهر بالإنشاء العالي الحريري والهمذاني والمعري وجريز وأبوتمام والبحثري والمتني وابن خاقان والعتبي والفارضي.

ثم اعلم أن طبقات الإنشاء كثيراً ما تختلط ببعضها فيصعب تعيين طبقتها، فربما جاء في القطعة الواحدة أشياء من الطبقات الثلاث، لا يميزها إلا الناقد البصير. انتهى من تعليق الهاشمي على جواهر الأدب. (1)

ولما فرغت من طبقاته، شرعت في بيان انقسامه إلى شعر ونثر،

فقلت:

وَهَوَإِلَى نَثَرٍ وَشِعْرِ يَنْقَسِمُ

.....

(1) جواهر الأدب - ج 1 - 21 - 22.

أعلم أن كلام العرب الذي يخرج من الستهم يدور على فنين:
فن الشعر المنظم؛ وهو الكلام المقفى الموزون بأوزان مخصوصة.

وفن النثر: وهو الكلام الغير الموزون.

فأما الشعر فمنه المدح، ومنه الهجاء، ومنه الرثاء، ومنه غير ذلك.

وأما النثر فمنه مايؤتى به قطعاً، ويلتزم في كل قطعتين منه قافية واحدة، ويسمى سجعاً، وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن تكون القطعتان متساويتين، لا تزيد إحداهما على الأخرى، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾⁽¹⁾. وهو أشرف السجع منزلة، للاعتدال الذي فيه.

والقسم الثاني: أن تكون القطعة الثانية أطول من الأولى، طوياً لا يخرج بها عن الاعتدال خروجاً كثيراً، فإنه يقبح عند ذلك ويستكره وبعد عيباً، فمما جاء من ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ * وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَوْهُمُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَبَحُوا * لَهَا تَغِيظًا وَرَفِيرًا * وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَبُّهَا مَقْرُونٌ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾⁽²⁾. فالفقرة الأولى ثمان لفظات، والثانية والثالثة تسع تسع.

ويستثنى من هذا القسم ما كان من السجع على ثلاث فقرات، فإن الفقرتين الأولين تحسبان في عدة واحدة، ثم تأتي الثالثة فينبغي أن تكون طويلة طوياً لا يزيد عليها، وقد تكون الثلاث متساويات،

(1) سورة الضحى، الآية: 9، 10.

(2) سورة الفرقان، الأيتان: 12، 13.

كقوله تعالى: ﴿فِي سِنْدٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾. (١)

والقسم الثالث: أن تكون الفقرة الثانية أقصر من الأولى، وهو عيب فاحش.

ويقابل السجع، النثر المرسل، وهو ما يؤتى به قطعاً من غير تقيّد بقافية ولا غيرها، وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع أجزاء، بل يرسل إرسالاً من غير قيد. انتهى من المثل السائر باختصار. (٢)

ولما فرغت من انقسام الإشاء إلى شعر ونثر، شرعت في بيان الطرق الموصلة إليه، فقلت:

..... وَلَهُمَا طَرِيقٌ

أي للشعر والنثر طرق توصل إليهما، والمراد بالجمع هنا مافوق الواحد؛ لأنهما طريقان لا غير:

الأولى: طريق حل الشعر: ويقال لها: نثر الشعر وبعضهم قال: هي شرح أبيات الشاعر، وبيان مراميها، وأعراضها، ومعاني ألفاظها، وخير ما يعول عليه في نثر الشعر هو التدرب والمرس، على أن يستمر ذلك مدة طويلة، حتى يصير نثر الشعر عند الطالب ملكة، فلا يجد بعد ذلك أية صعوبة فيه.

وقد تقدم بعض الكلام على حل الشعر، وهماك وعدنا بإعادة

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٢٨، ٢٩، ٣٠

(٢) انظر ج ١ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ - ص ٢٥٧.

الكلام عليه هنا بعبارة أوسع، ولذلك نقول: حل الأبيات الشعرية ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول منها: وهو أدائها مرتبة - أن يأخذ الطالب بيتاً من الشعر فيشره بلفظه من غير زيادة، وهو نظير من أخذ عقداً قد أتقن نظمته، وأحسن تأليفه، فبدده وأوهاه، وهو عيب فاحش، ويكون صاحبه مشهوراً بالسرقة، فيقال: هذا شعر فلان بعبه؛ لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شيء.

وقد سلك هذا المسلك بعض العراقيين، فجاء حله مستهجناً في قول بعضهم: ⁽¹⁾

وَأَلَدُ ذِي خَنْقٍ غَلِيٌّ كَأَنَّما
تَغْلِي غِداوُهُ صَدْرُهُ فِي مِرْجَلِ
أَرْجِيئَتُهُ عَلَى لِابْصَرٍ قَصْدُهُ
وَكَوْنَتُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ غَلِ

حيث قال: «إن شر هدير البيتين هكذا: كم لقيت ألدُ ذا خنقٍ كأنه ينظر إلى الكواكب من غلٍ، وتغلرُ غداوُهُ صدره في مرجل فكوئته فوق ناظرية حتى انكب على فمه ويديه».

فلم يزد هذا السائر على أد أزال روتق الوزن، وطلاوة السطم لا غير. ⁽²⁾

ومن هذا القسم ضرب محمود لا عيب فيه، وهو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيئاً لا يمكن تغيير لفظه، فحينئذ يعذر

(1) اليتاد للربيعه بن مقروم الطيبي

(2) انظر المثل السائر - ج 1 ص 103

نأثره، إذا أتى بذلك اللفظ، وكذلك الأمثال السائرة فإنه لا بد من ذكرها على ما جاءت في الشعر.

وأما القسم الثاني وهو وسط بين الأول والثالث في المرتبة:

فهو أن يثر المعنى المنظوم، ببعض ألفاظه، ويعبر عن البعض بالألفاظ الأخرى، وهناك تظهر الصنعة في المماثلة والمثابته، ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة، فإنه إذا أخذ لفظاً لشاعر محيد، قد نقحه وصحّحه، فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة، ولا يخفى ما في ذلك من الانتصاب للقذح، والاستهداف للطعن.

والطريق الملوك إلى هذا القسم أن تأخذ بعض بيت من الأبيات الشعرية، وهو أحسن ما فيه ثم تماثله.

وسأورد هاهنا مثلاً واحداً، ليكون قدوة للمتعلّم، فأقول: قد ورد هذا البيت من شعر أبي تمام في وصف قصيدة له:

خِذَاءً تَمَلُّ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً
وَبَلَاغَةً وَتَبَرُّ كُلُّ وَرِيدٍ

فقوله: «تملأ كل أذن حكمة» من الكلام الحسن، وهو أحسن ما في البيت، فإذا أردت أن تثر هذا المعنى فلا بد من استعمال لفظه بعينه، لأنه في الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة، فعليك حينئذ أن تؤاخيه بمثله، وهو عسير جداً، وأصعب من نثر الشعر بغير لفظه، لأنه مسلك ضيق، لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة.

وأما نثر الشعر بغير لفظه، فيتصرف فيه نأثره على حسب ما يراه، ولا يكون مقيداً فيه بمثال يضطر إلى مؤاخاته.

القسم الثالث من أقسام الحل، وهو أعلى من القسمين الأولين:

وهو أن يأخذ المعنى، ويصوغه بألفاظ غير ألفاظه، وفيه يتبين حذق الصائغ في صياغته، ويعلم مقدار تصرفه في صناعته، فإن استطاع الزيادة على المعنى فذلك الدرجة العالية، وإلا أحسن التصرف، وأتقى التأليف.

واعلم أن من أبيات الشعر ما يتسع المجال لشاره، فيورده بضروب من العبارات، وهو شبه المائل السائلة في الحساب، التي يجاب عنها بعدة من الأجوبة، ومنها ما يضيق فيه المجال حتى لا يكاد الماهر في هذه الصناعة أن يخرج من ذلك اللفظ، وإنما يكون هذا لعدم النظر.

فأما ما يتسع المجال في نثره فكقول أبي الطيب المتنبي:

لَا تَعْدِلُ الْمُنْتَقِ فِي أَشْوَاقِهِ
حَتَّى يَكُونَ خُشَاكَ فِي أَخْصَانِهِ

فقد نثره بعضهم بقوله: «لا تعدل المحب فيما يهواه، حتى تطوى القلب على ما طواه» ونثره غيره بقوله: «إذا اختلفت العينان في النظر، صار العدل ضرباً من الهذر».

وأما ما يضيق فيه المجال، ويعسر على الناثر تبديل ألفاظه فكقول أبي تمام:

تَرَدَّى يَنَابُ الْمَوْتِ خُمْراً فَمَا أَتَى
لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خَضِرٍ

فأبو تمام قصد المواخاة في ذكر أثواب الشهيد بين اللود

الأحمر واللون الأخضر، فأخبر أن الشهيد في حال خروج روحه يرتدي أثواب الموت حمراً من الدم، ولكن لا يأتي عليها الليل إلا وهي من السندس الأخضر من أثواب الجنة.

وهذا البيت لا يمكن تبديل ألفاظه، وهو أمثاله مما يجب على الناثر أن يحسن الصنعة في فك نظامه؛ لأنه يتصدى لنثره بألفاظه، فإن كان عنده قوة تصرف وبسط عبارة، أتى به حسناً رائعاً، وإلا فلا.

وقد قال بعضهم في نثره: ولم تَكُنْهُ المنايا نَسْجَ شِعَارِهَا، حَتَّى كَسَتْهُ الْجَنَّةُ نَسْجَ شِعَارِهَا، قَبْدُلُ أَحْمَرُ ثَوْبِهِ بِأَخْضَرِهِ، وَكَأْسُ جَنَابِهِ بِكَأْسِ كَوْنِهِ.

وحيث انتهى منا الكلام إلى هنا في التبيه على نثر الشعر وكيفية نثره، وذكر ما يسهل منه وما يعسر، فَلْتَتَّبِعْ ذَلِكَ بقول كلِّ في هذا الباب، فنقول:

من أحب أن يكون كاتباً أو يكون عنده طبع مجيب، فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد، ولا يقنع بالقليل من ذلك، ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته، وطريقه أن يتدبَّر فيأخذ قصيداً من القصائد، فيشره بيتاً بيتاً على التوالي، ولا يستنكف في الابتداء أن يثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها، فإنه لا يستطيع إلا ذلك، وإذا تمرَّت نفسه وتدرَّب خاطره، ارتفع عن هذه الدرجة، وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده. ثم يرتفع عن ذلك فيكسوه ضرورياً من العبارات المختلفة، وحيث يحصل لخاطره بمباشرة المعاني لقاح، فيستج منها معاني غير تلك المعاني، ويكثر الإدمان على ذلك ليلاً ونهاراً، مدة طويلة حتى نصير له ملكة في الإنشاء، فإذا كتب بعد

ذلك كتاباً، أو خطبة تدفقت المعاني في أثناء كلامه، وجاءت ألفاظه معسولة، وكانت عليها جدة، حتى تكاد ترقص رقصاً، وهذا شيء خبرناه بالتجربة، «ولا يَنْبُتُ بِمِثْلِ خَيْرٍ». انتهى من المثل السائر باختصار. ⁽¹⁾

(1) انظر المثل السائر - ج 1 ص 103 - 109.

الطريقة الثانية

إلى تعلم الكتابة طريق الاطلاع والحفظ

وهي على ثلاث شعب:

الأولى: أن يتصفح الكاتب كتابة المتقدمين ويطبع على أوصاعهم في استعمال الألفاظ والمعاني، ثم يحذو حذوهم، وهي أدنى الطبقات عندهم.

الثانية: أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستحيد له من زيادة حسنة، إما في تحسين ألفاظ، أو في تحسين معان، وهذه هي الطبقة الوسطى، وهي أعلى من التي قبلها.

الثالثة: أن لا يتصفح كتابة المتقدمين، ولا يطبع على شيء منها، بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم، وعدة من دواوين فحول الشعراء، ممن علب على شعرهم الإحسان في المعاني والألفاظ، ثم يأخذ في الاقتباس، فيقوم ويقع، ويخطئ، ويصيب، ويضل ويهتدي، حتى يستقيم على طريقة يفتحها لنفسه، واحذر بتلك الطريق أن تكون مبتدعة غريبة، لا شركة لأحد من المتقدمين فيها، وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد، وصاحبها يعد إماماً في فن الكتابة، إلا أنها وعرة جداً، ولا يستطيعها إلا من رزقه الله لساناً هماماً، وخاطرًا راقماً.

ولا أريد بهذه الطريق أن يكون الكاتب مرتبطاً في كتابته بما يستخرجه من القرآن الكريم والشعر، بحيث إنه لا ينشئ كتاباً إلا من ذلك، بل أريد أنه إذا حفظ القرآن، وأكثر من حفظ الأخبار النبوية والأشعار، ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على معانيه، مفتش عن دفائنه، وقلبه ظهراً لبطن، عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف، فيما ينشئه من عند نفسه، واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية. انتهى من المثل السائر باختصار. (١)

ولما فرغت من الطريق التي توصل إلى صناعة الكتابة، شرعت في بيان السير المنتظم في التوصل إليها فقلت:

.....

..... وَسِيرٌ مُنْتَظِمٌ

أي ولهما سير منتظم لا بد من اتباعه في تعاطي الإنشاء نظماً ونشراً.

قال في كتاب الصناعتين: «إذا أردت أن تضع كلاماً فأخطر معانيه ببالك وتنق له كرائم الألفاظ، واجعلها على ذكر منك، ليقرّب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلبها، وأعمله مادمت في شباب نشاطك، فإذا غشيك الفتور والملال، فأمسك، فإن الكثير مع الملal قليل، والنفيس مع الضجر خسيس، والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء، فتجد حاجتك من الري، وتنال أربك من المنفعة، فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها، وقلّ عنك عناؤها.

واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد

(١) انظر المثل السائر - ج ١ ص 100 - 101.

والمطالبة والمجاهدة والتكلف والمعاودة .

وإياك والتوعر، فإنه يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، ومن أراد معنى كريماً، فليلتزم له لفظاً كريماً فإن من حق المعنى الشريف، اللفظ الشريف، فإذا لم تجد اللفظة واقعة في موقعها، صائرة إلى مستقرها، حالة في مركزها، متصلة بسلكها، بل وجدتها قلقة في موضعها، نافرة عن مكانها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها، فإنك إن لم تتعاط قريض الشعر المنظوم، ولم تكلف اختيار الكلام المشور، لم يعبك بذلك أحد، وإن تكلفته ولم تكن حاذقاً مطبوعاً، ولا محكماً لشأنك بصيراً، عابك من أنت أقل عيباً منه، وزرّي عليك من هو دونك.

فإن لم تسمح لك الطبيعة بنظم الكلام في أول وهلة، وتعصى عليك بعد إحالة الفكرة، فلا تعجل، ودعه سحابة يومك ولا تضجر، وأمله سواد ليلتك، وعأوده عند نشاطك، فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة، فإن تمنع عليك بعد ذلك مع ترويج الخاطر، وطول الإمهال، فتحول من هذه الصناعة، إلى أشهى الصناعات إليك، وأخفها عليك، فإنك لم تشتهها إلا وبينكما تجانس، والشيء لا يحن إلا إلى ما شاكلة.

وينبغي أن تعرف أقدار المعاني، فتوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فتجعل لكل طبقة كلاماً، ولكل حال مقاماً، حتى تقسم أقدار المعاني، على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين، على أقدار الحالات. انتهى من كتاب الصناعتين باختصار. (١)

(١) انظر كتاب الصناعتين ص 102 - 153 .

ولما فرغت من كيفية السير في الإنشاء، شرعت في بيان الزمن الذي يكون للجمع والتهديب، فقلت:

وَزَمَنُ الْجَمْعِ وَالتَّهْدِيبِ

.....

أي وللشعر والنثر زمن هو أحسن الأزمنة للجمع والتهديب، وهو الليل، فقد قالوا: إذا عَرَّ لك أو اقْتَرَحَ عليك إنشاء موضوع، فأنت منوط إذا بأمرين: التفكير أولاً، والكتابة ثانياً، فإذا أَمَعْتَ الفكر ملياً في أجزاء الموضوع بعد استيلاء الإحساس بها على قلبك، وقلبتها على جميع الأوجه الممكنة فيها، تولد في خيالك لكل جزء عدة صور متفاوتة في تأديته كتفاوت صور المنظوم في الحسن والقبح، فبعضها يستميل النفوس بتأثيره في الحواس، وبعضها يوجب نفورها، وبعضها بين بين، فإذا تشخصت الصور في الخيال، تخير العقل منها ماله المكانة الرفيعة في حسن تأدية الغرض المناسب للمقام، فإن كان المقام للتحريض على القتال مثلاً، انتُجِبَتِ الصورة المهيبة للإحساس المشجعة للنفس على اقتحام الأخطار، وإن كان المقام مقام فرح وسرور، انتُجِبَ ما يشرح الصدور، وتقر به العيون وتروق به الأرواح، ويذهب عنها الحزن والأتراح.

وبعد تشخص الصور وتخير المناسب منها، تعنى أيها المشيء بحسن تأليف وترتيب ماتخيرته، بأن تجمع الصور المناسبة التي يرتبط بعضها ببعض بدون تكلف بحيث يكون المجموع منسجماً بمصي وحده مع النفس بدون علاج وتعب في فهم الغرض منه، وحينئذ يمكنك إظهار هذه الصورة المعقولة في صورة محسوسة بواسطة القلم.

ثم نقح وهذب ماخيرته؛ بتغيير مايجب تغييره، وحذف ما ينبغي حذفه، وإصلاح ما ينبغي إصلاحه، وتحرير مايدق من معانيه، وطرح مايتجافي عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه؛ لتشرق شمس التهذيب في سماء بلاغته، وترشف الأسماع على الطرب رقيق سلافته، فإن الكلام إذا كان موصوفاً بالمهذب منعوتاً بالمنقح، علت رتبته وإن كانت معانيه غير مبتكرة.

وكل كلام قيل فيه لو كان في موضع هذه الكلمة غيرها، ولو تقدم هذا المتأخر، أو تأخر هذا المتقدم، أو لو تمم هذا النقص بكذا، أو لو حذفت هذه اللفظة، أو لو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلوب، لكان الكلام أحسن والمعنى أبين، كان ذلك الكلام غير منتظم في سلك التهذيب.

وأحسن وقت للجمع والتهذيب هو الليل، وما أحسن ما أشار أبوتمام إلى التهذيب بقوله:

خُذْهَا ابْنَةُ الْفَكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدَّجَى
وَاللَّيْلِ أَسْوَدَ رُقْعَةِ الْجَلْبَابِ

فإنه حصص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الأصوات وتسكن الحركات، فيكون الفكر فيه مجتمعاً ومراة التهذيب فيه صقيلة، لخلو خاطر وصاء القريحة، لا سيما وسط الليل.

قال أبو عبادة السحري: كنت في حدثي أروى الشعر ولم أكن وقفت له على تسهيل مأخذ، حتى فصدت أبا تمام وانقطعت إليه واتكلت في تعريفه عليه، فكان أول ما قال لي: أياً أبا عبادة، تحير الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم، واعلم أن العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أو تنقيحه، أن يختار

وقت السحر، لأن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عليها ثقل الغذاء، وأحدر المجهول من المعاني، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الوحشية، وناسب بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام، وكن كأنك حياط تقدر الثياب على مقادير الأجسام.

وإذا عارضك الضجر فارح نفسك، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب، ولا تنظم إلا بشهوة، فإن الشهوة نعم المعين على حسن النظم، واعتبر شعرك بما سلف من أشعار الماضين، فما استحسنت العلماء فاقصده، وما استقبحوه فاجتنبه. انتهى من خزانة الأدب وزهر الآداب باختصار. (١)

ولما فرغت من بيان الوقت المختار للجمع والتهديب، شرعت في بيان العمل الذي يكون للتدريب فقلت:

وَعَمَلٌ يَكُونُ لِلتَّدْرِيبِ

أي وللشعر والشعر عمل يكون للتدريب، بمعنى التدريب، كالتغيير بمعنى التغيير، فهو من إطلاق المصدر، وإرادة المعنى الحاصل بالمصدر على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته التعلق الاشتقاقي.

ثم كيف تعمل إذا أردت أن تكون كاتباً؟

والجواب: إذا أردت أن تكون كاتباً فعليك بملازمة إحدى الطريقتين المتقدمتين، إما طريق حل الشعر، أو طريق الإطلاع

(١) نقلته عن جواهر الأدب ج ١ ص ٢٧ - ٢٨.

والحفظ، ثم بالارتياض وهو التدريب بوجوه الإنشاء بأن تتوسع في شرح بعض المعاني، فتبيسه بأوجه شتى، وتمتعه بأشكال الدبيع، وأن تجتهد في وضع بعض مواضيع وجيزة، فتصوغ تارة وصف مدينة، وتارة مدحاً أو تهنيئة، وأخرى تردد مثلاً أو تسليك رواية، أو غير ذلك، ولا بد أن تحذو حذو المتقدمين في أوصاعهم باستعمال ألفاظهم ومعانيهم، وأن تحل النظم، فتأتي به شراً أبقاً، وتعقد الشر، فتصوغه صوغاً رشيقاً، فإنك إذا أدمنت ذلك حتى صارت لك ملكة في الإنشاء، تكون كاتباً، وهذا شيء خزنه بالتجربة، ولا يشك مثل خبير.

ثم قلت: كيف تعمل إذا أردت أن تكون خطيباً؟

والجواب: إذا أردت أن تكون خطيباً مرتجلاً ففكر أولاً في الموضوع الذي تريد الخطابة فيه، ورتبه في نفسك عناصر، وفكر كيف تبدأ الكلام فيه بمقدمة قصيرة، ثم تأخذ في الدخول على موضوعك حسب ترتيب عناصره في نفسك، ثم فكر كيف تحتم خطبتك موجزاً في الختام ما توسعت في بيانه.

وبعد التفكير في كل هذا حاول أن تمرّن لسانك على تكوين جمل منسقة، تؤدى معنى ما فكرت فيه، وقم خطيباً في مكان معزول، وتخيل أنك تخاطب جموعاً حاشدة تصفى إلى خطابك، وابدأ بالكلام منمهاً، مقسماً خطابك إلى عبارات في أساليب جزلة سهلة، وكرر هذا العمل عدة مرات في الموضوع الواحد، وأنت تحطب لنفسك، وفي كل مرة ستجد أنك أحسن من سابقتها، وستغير جملاً بجملاً، وعبارات بأخرى، ويطول نفسك بعد قصر، وتكثر في ذهرك الألفاظ والمعاني في موضوع خطابك، ويتسع أفق تفكيرك فيه وتراد

ثقتك نفسك، فحاول بعد التكرار - كما بينت لك - أن تلقى هذا الموضوع على عدد قليل من الناس، ثم على عدد أكبر؛ وأفعل ذلك أولاً وثانياً وثالثاً، وتصنع الشجاعة ورباطة الجأش، فستجد نفسك بعد زمن قصير أو طويل حطياً ممتازاً، يخطب في كل ما يريد، ويأسر عواطف الجماهير بسحر بيانه وفصاحة لسانه.

ومن تصفح كتب الأدب وجد كثيراً من مشاهير خطباء العرب سلكوا هذا المسلك، فكانوا يخرجون إلى القضاة حيث لا يراهم أحد، ويرفعون أصواتهم بما يريدون إلقاءه على الناس، ويكررون ذلك حتى نمت فيهم ملكة الخطابة، وصاروا من الخطباء الممتازين.

ثم كيف تعمل إذا أردت أن تكون شاعراً؟

الجواب: أن للشعر وإحكام صناعته شروطاً: أولها: الحفظ له من جنسه، أي من جنس شعر العرب، حتى تنشأ في النفس ملكة يكون بها النسيج والاختيار للحر النقي الكثير الأساليب من المحفوظ، وهذا المحفوظ أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من فحول شعراء الإسلام مثل: ابن أبي ربيعة، ودي الرمة، وجريز، والأخطل، وأبي نواس، وأبي تمام، والبحتري، والشريف الرضي، وأبي فراس، والمتنبي، ثم لابد من الخلوة، واستجادة المكان المطوم فيه باشماله على مثل: المياه والأرهارار، وكذا استجادة المسموع لاستنارة القريحة واستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور، ثم مع هذا كله شرطه أن يكون على جمام أي راحة ونشاط فذلك أجمع له، وتُنشط للقريحة أن يأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه، قالوا: وخير الأوقات لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النوم، وفراغ المعدة، ونشاط الفكر، وربما يكون من دواعيه العشق.

وقالوا أيضاً: إن صعب عليه بعد هذا كله فليتركه إلى وقت آخر، ولا يكره نفسه عليه، وليكن بناء القصيدة على القافية من أول صوغها عند نسج البيت الأول منها، فيضعها ويبنى الكلام عليها إلى آخره؛ لأنه إن غفل عن بناء البيت على القافية. صعب وضعها في محلها، وربما تجيء نافرة قلقة، وإذا سمح المخاطر بالبيت ولم يناسب الذي بعده فليتركه إلى موضعه الأليق به، فإن كل بيت مستقل بنفسه، ولم تبق إلا المناسبة فليتخير فيها كما يشاء.

وليراجع شعره بعد الفراغ منه بالتنقيح والنقد، ولا يخل به عن الترك إذا لم يبلغ الإجابة، فإن الإنسان مفتون بشعره، إذ هو بنات فكره واختراع قريحته، ولا يستعمل فيه إلا الكلام الأفصح من التراكيب، والحالص من الضرورات اللسانية، فإنها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة، وقد حطر أئمة اللسان على المولد ارتكاب الضرورة، إذ هو في سعة منها، بالعدول عنها إلى الطريقة المثلى بما عنده من الملكة، ويجتنب أيضاً المعقد من التراكيب جهده، بحيث تكون ألفاظه على طبق معانيه يتسابق كل منها إلى الفهم، ويجتنب أيضاً الحشو من الألفاظ، وكذلك الوقف المبذل، فإنه يزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً، ويصير مبتذلاً، ويقرب من عدم الإفادة. (١)

وفي هذا القدر كفاية لمتعاطي صناعة الإنشاء، انتهى من ابن خلدون باختصار وتصرف.

(١) مقدمة ابن خلدون ص 574 - 575

خاتمة في فنون الإنشاء

فَنُونُهُ سَبْعُ مَكَاتِبَاتٍ
وَصُفٌّ وَأَمْثَالٌ مُنَاطِرَاتُ
ثُمَّ مَقَامَةٌ مَعَ الرَّوَايَةِ
كَذَلِكَ التَّسَارِيعُ بِالدَّرَايَةِ
فَهَذِهِ الْفُنُونُ أَنْوَاعٌ لَهُ
خُذْمَا وَأَغْطَى كُلٌّ فَنٍّ خَفِيٍّ

لما فرغت من بيان أصول الإنشاء وشروطه ومحاسنه وعيوبه وطاقته وأقسامه وطرقه الموصلة إليه والقيمة التي يحصل بها التدريب عليه، تعرضت في هذه الخاتمة لبيان فنونه فقلت: (فونه) أي الإنشاء (سبع) بحذف التاء لضرورة الوزن.

أولها (مكاتبات) أي من المكاتبة، ويعرف أيضاً بالمراسلة، وهي مخاطبة لعناب بلسان القدم. وفوائدها كثيرة لا تحصر، لأنها ترجمان الجواد، وبائت العناب في قضاء أو طواره، ورباط الوداد مع تاعد البلاد، وتكون نظمًا وثرًا، وقد أفردها بعضهم بالتأليف

وثانيها (وصف) أي من الوصف، وهو عبارة عن بيان الأمر باستعاب أحواله وصروف بعوته الممثلة له، وأنواعه كثيرة، ولكنها

ترجع إلى قسمين: وهما: وصف الأشياء، ووصف الأشخاص،
ويكون أيضاً نظماً ونثراً.

وثالثها: (أمثال) أي فن الأمثال، وهو فن مشهور فلا نطيل
بذكره.

ورابعها: (مناظرات) أي فن المناظرات، ومنه منظارة فصول
العام الأربعة لابن حبيب الحلبي، وهي موجودة في كتاب نسيم
الصبا، وفي جواهر الأدب أيضاً.

وخامسها: (مقامة) أي فن المقامات، ومنه مقامات الحريري
ومقامات بديع الزمان الهمداني، وما أشبه ذلك.

وسادسها: (الرواية) أي فن الرواية، ومنه رواية ليلى الأخيلية
مع الحجاج، ورواية المرأة التي لا تتكلم إلا بالقرآن.

وسابعها: (التاريخ بالدراية) أي فن التاريخ بجميع أنواعه
وأشكاله.

(فهذه الفنون) التي تقدم ذكرها (أنواع له) أي لفن الإنشاء
فـ (حذها) منى مينة بأسمائها (وأعط كل فن حقه) الذي يختص به
عن بقية الفنون من المميزات التي لا يشاركه فيها غيره.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ
ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ مَعَ سَلَامِهِ
عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ وَتَابِعِي بِمَنَوَالِهِ

أتيت في هذين البيتين بحمد الله تعالى على تمام هذا التأليف؛
لأنه هو الذي أعاننا على إتمامه، وأتيت بالصلاة والسلام على سيد

الأنام، لأنه هو الوساطة العظمى في إيجادنا وإيجاد هذا التأليف أيضاً حتى برز لحيز الوجود.

جعله الله حالصاً لوجهه الكريم، ونفع به كما نفع بأصله إنه جواد كريم، كان الفراغ منه عشية يوم الجمعة 5٪ ذي القعدة سنة 1398 هـ الموافق 6 أكتوبر سنة 1978م بيد مؤلفه محمد مفتاح قريو. وعدد أبيات هذا النظم أربعة وأربعون بيتاً لا غير.

قال الناظم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
نَحْمَدُ رَبَّنَا الَّذِي أَنْشَأَنَا
وَلِنَعْلُومِ بِالْحَجَا أَهْلَنَا
وَجَعَلَ اللَّيْلَ عُنْوَانًا عَلَيَّ
مَا فِي الْقُؤَادِ مِنْ كَلَامٍ خَصَلَا
وَحَضَّنَا بِبَيْتِ خَيْرِ رُتَبِهِ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَآلِهِ
وَيَسَعِدُ فَالْإِنشَاءَ رُوحَ الْأَدَبِ
وَسَيِّدُ عَلَى عُلُومِ الْعَرَبِ
لِذَاكَ يُدْعَى بِأَمِيرِ الْعِلْمِ
وَعِلْمِ حُكْمِ وَأَقْلِ الْفَهْمِ
وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ أَجِدْ مَنْ كَتَبَا
فِيهِ كِتَاباً جَامِعاً مُهَذَّباً

لِأَجْلِ ذَا جَمَعْتَ مَا تَفَرَّقَا
 فِي كِتَابِهِ بِمَا بِهِ تَعَلَّقَا
 وَبَعْدَ أَنْ نَقَّحْتَهُ بِفَهْمِي
 قَرَّبْتُ حِفْظَهُ بِهَذَا النِّظْمِ
 سَمَّيْتُهُ بِسُلْمِ الْإِنشَاءِ
 يُرْفَى بِهِ لِلرُّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ
 وَاللَّهُ أَرْجُو الْوَقْفَ لِلْإِتِّمَامِ
 وَأَنْ يَكُونَ نَافِعَ الْأَنَامِ

مقدمة في بعض مبادئ الفن العشرة

إِنْشَأُونَا عِلْمٌ مُوَضَّلٌ إِلَى
 كَيْفِيَّةِ الشُّعْبِيرِ عَنْ مَعْنَى جَلَا
 بِمَا يُعَدُّ حَسَنَ التَّرْكِيْبِ
 وَالْمُقَرَّدَاتِ عِنْدَ أَهْلِ الْأَدَبِ
 مَوْضُوعُهُ نَثْرٌ وَنِظْمٌ لِلْكَلامِ
 غَايَتُهُ تَحْسِينُ مَاضِيَتِهِ يُرَامُ
 وَأَخْذُهُ مِنَ الْعُلُومِ كُلِّهَا
 إِذْ لَا غِنَى فِيهِ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا

باب أصول الإنشاء وشروطه

أَصُولُهُ عُرْفًا تُسَمَّى بِالْمَوَادِّ
 وَفِي ثَلَاثٍ فِي الْأَضْحَ الْمُسْتَفَادِ
 الْفَاطَةُ الْقَصِيحَةُ الْمُنْتَحَنَةُ
 فِي ذَوْقِ أَهْلِ الْأَدَبِ الدَّهَائِنَةُ

وَأَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ ذَا مُنَاسَبَةٍ
فِي الْوَضْعِ لِلْمَعْنَى الَّتِي قَدْ صَاحَبَتْ
إِمَّا بِمَعْرِفٍ قَدْ جَرَى أَوْ اتَّفَاقٍ
مُسْتَحْسِنٍ يَظْهَرُ فِيهِ الْإِنْطِبَاقُ
وَجُودَةُ التَّرَكِيبِ بِالْقَوَاعِدِ
لَا سِيَّامَا مَعَ اخْتِرَاعِ زَائِدٍ
وَلَوْ بِاغْتِرَابٍ لِيَذَى ابْتِذَالٍ
حَتَّى يُفِيدَ طُرْفَةَ الْمَقَالِ
وَهِيَ أَهَمُّ خَيْثٍ مِنْهَا يَنْجَلِي
الْفَرْقُ بَيْنَ مُنْشِئَةٍ وَجَاهِلٍ
وَتَوْصِلُ الْمُنْشِئَةُ لِلْجَنَاسِ
وَالْحُلُّ وَالْمَعْقِدُ وَالْاِقْتِبَاسُ
وَصَنْعَةُ التَّضْمِينِ وَالتَّسْلِيمِ
إِذَا أَرَادَ أَدَبُ التَّمْلِيحِ
وَشَرْطُهُ أَطْلَاعُ كُلِّ رَاغِبٍ
عَلَى أَتَالِيِبِ رِجَالِ الْأَدَبِ
وَحُلُوهُ فِي نَزْمَةٍ بِالْفَخْرِ
كَذَا هُدُوءُ الْجَوْ فَاغْنَهُمْ وَادِرُ
وَضَوْعُهُ فِي زَمَنِ النِّشَاطِ
عِنْدَ فِرَاقِ الْفَكْرِ وَانْبِسَاطِ
وَأَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ فِيهِ تَابِعًا
إِلَى الْمَعْنَى دُونَ عَكْسٍ فَاسْمَعَا
وَذَا اتِّقْيَا لِلْمَعْنَى دُونَمَا
عَشْفٍ وَإِكْرَاهٍ عَلَيْهَا ذَاتِمَا

كَذَا التَّدْرُبُ عَلَيْهِ حَتَّى
يَكُونُ مِثْلَ الطَّيْعِ فِيهِ بَشًا

باب محاسن الإنشاء وعيوبه

مَحَاسِنُ الْإِنِّشَاءِ قُلٌّ وَضُوحٌ
ضَرَاةٌ جَزَالَةٌ نَفِيعٌ
نَطَائِقُ تَنَاسُقٌ عَلَى الدَّوَامِ
كَذَا سُهولةُ لَهُ وَالْإِنْجَامِ
تَأْتِقُ فِي الْبَدْءِ بِالْمَقَالِ
الْعَذْبُ أَوْ بَرَاةُ اسْتِهْلَالِ
مَعَ اجْتِنَابِ كُلِّ مَا يُطِيرُ
وَكُلِّ مَا يَقْبُحُ أَوْ يُنْفَرُ
كَذَا تَأْتِقُ لَدَى الْخَتَامِ
مَعَ ذِكْرِ مَا يُشْعِرُ بِالسَّامِ
عُيُوبُهُ تَنَافُرٌ وَخِشْيَةٌ
وَمُجَنَّةٌ سَهْوٌ عَنِ الْمَرْضِيَّةِ
جَفَافُ الْأَسْهَابِ وَخِذَّةُ السِّيَاقِ
رَكَّةٌ نَفِيعَةٌ وَتَكَرُّارٌ يُرَاقِ

تكملة في طبقاته وأقسامه

وَطَبَقَاتُهُ ثَلَاثٌ لَا يَفْقَهُ
سُفْلَى وَوُسْطَى ثُمَّ عَلِيَا فَاتَّفَقَ
وَقَوَى إِلَى تَنْقِصٍ وَيُغْفَرُ يَنْقِصُ
وَلَهُمَا طَرِيقٌ وَسِيرٌ مُنْتَظَمٌ

وَزَمَنُ الْجَمْعِ وَالتَّهْدِيبِ
وَعَمَلُ يَكُونُ لِتَثْدِيبِ

خاتمة في فنون الإنشاء

فَنُونُهُ سَبْعُ مَكَاتِبَاتٍ
وَصَفٌّ وَأَمْثَالٌ مُنَاطِرَاتُ
ثُمَّ مَقَامَةٌ مَعَ الرَّوَايَةِ
كَذَلِكَ التَّارِيخُ بِالدَّرَايَةِ
فَهَذِهِ الْفَنُونُ أَنْوَاعٌ لَهُ
خُذَهَا وَأَعْطِ كُلَّ فَنٍّ حَقَّهُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَمَامِهِ
ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ مَعَ سَلَامِهِ
عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ وَتَابِعِي بِسُؤَالِهِ

ولإتمام الفائدة بالتطبيق العملي ذيلت سلم الإنشاء بخطتين،
وقصيدتين.

أولى الخطبتين منبرية للترغيب في قراءة القرآن والعلوم الدينية
وهي هذه:

الحمد لله الذي أنزل القرآن من فيض رحمته، وجعله هُدى
للسالكين إلى باب حضرته، ونوراً للأرواح تسبح في سبحات بهجته،
وربيعاً للقلوب تسرح في أزهار روضته، وشفاءً للصدور تشتفى
بحكمته، وزماماً للمكر في تفكيره وجولته، وقياداً للعقل في جمته
وصولته، ودستوراً للحاكم في حكومته، ونظاماً للمحكوم في سيرته

ومهمته، وحياء لأرواح العالم برمته.

أحمدُه خمد من أقر بالعجز عن شكر نعمته، وأعترف بالتقصير عن القيام بواجب عبوديته، وأصلي وأسلم على صفوة خليقته، وجمال الكون وبهجته، وترجمان الحق وخليفته، ورسوله إلى العالمين بكلمته، محمد نور الوجود وخيرته، وعلى آله وأصحابه وعترته.

أما بعد: فلا يخفى على مسلم من أي طبقة كان، أن القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله على رسوله - ﷺ - نوراً وهدياً لخير أمة أخرجت للناس، وهي الأمة الإسلامية التي جمعت في شريعته بين الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وأن هذه الأمة قبل أن يجيئها هذا الكتاب الكريم، كانت قبائل مشتتة لا تجمعهم صلة دينية، ولا أخلاق اجتماعية، ولا مصلحة اقتصادية، ولا تضمهم رابطة سياسية، شغلهم الحروب والعارات، وذئذُنُهُم توارث العداوات، وهو شأن كانت عليه من عهد تكونها إلى أن بعث الله إليها نبيّه مُحمّداً - ﷺ - فلم تتغير عنه في قرن من القرون، ولم تتحول عنه في جيل من الأجيال، وقد أنزل عليه القرآن لنفع هذه الأمة، فلم تلبث إلا سنين قلائل حتى نهضت نهضة الأسد تتلأأ حياة ونوراً، وتتجلى أخلاقاً وشعوراً، ثم جالت في العالم جولة القوي العادل، وصالت صولة القادر العاقل، وإذا بها أمة الأمم، وصاحبة العلم، وربة السيف والقلم، وكاشفة الغموم والغمم، وجالية الظُّلم والظُّلم، بل محيية الرمم، بأي شيء حصل هذا التغير الفجائي الذي أدهش العالمين، وبهر الناس أجمعين، بمحمد - ﷺ - الذي أوحى إليه هذا القرآن، فجعله دستوراً لنفسه وأمته، وإماماً لأموره وأمور رعيته، حتى كان ماكان، مما لو أحفينا فيه الأقلام، وأجهدنا فيه الإفهام، لعجزنا عن

وصف بعضه فما بالك بكله .

هذه الأمة التي عرفت مبادئها، ووقفت على كنه خلافتها في الأرض والتي لم يزل تاريخها إلى اليوم زهرة التواريخ وزينة المكاتب، وآثارها في القلوب والعيون أكبر الآثار وأعظم المشاهد، حيث بالقرآن وتحركت، وبه أبصرت وأدركت، وبه تهديت ونخلقت، وبه التأمت واجتمعت، وبه تضافرت وتساعدت، وبه ضلّت وزكت، وبه صامت واعتكفت، وبه حاربت وسالمت، وبه عاهدت وباقضت، وبه بحثت وتعلمت، وبه دوت وألفت، وبه هدمت وبنّت، بل به ترقّت وتمدنت، حتى بلغت ما بلغت .

ولذلك نعلم أن القرآن روح الأمة وحياتها، وبه وجودها وقوامها، فكيف تملح بدونه وتنهض من كونها شيء سواه، فهو كتاب إلهي، ووحى سماوي، نزل به الروح الأمين، على قلب خاتم النبيين وإمام المرسلين، ليحيى به قلوباً أماتها الشهوات، وينقذ به من الحيرة عقولاً سممتها الشكوك والشبهات، ويحل به من الأغلال أفكاراً قيدتها الخرافات، وسجنتها التخرصات، ويسترد به للنفوس حقوقاً اغتصبها القادات، وسلبها السادات، ويقيم به دولة الكمالات، وصروح المكرمات، ويهدم به عروشاً أقامها الأقوياء على أشلاء الضعفاء، ويحدع به أنوفاً شمخت بها الجاهلية الجهلاء وأبطرتهما النعماء، ويفتح به للمدارك أبواباً سدّها الكهان، ويكشف به للآذهان حقائق العلم وطرائق العرفان، كما شهد بذلك أعداء القرآن، بل وأعداء الأديان، حتى هاجموا من أجله، وحاربوا لنبذته وخلعوه، لأنهم عرفوا أنه سلاح متين لهذه الأمة، ونور مبين يكشف عنها كل ظلام وغمة .

وحيثذ فكيف لا نوجه لهذا القرآن أفكارنا، ونعلمه لجميع
أبنائنا، ونخصص له جل أوقاتنا، ونصرف في تحصيله أموالنا، لنظفر
بحفظ ألفاظه وفهم معانيه، وليسهل علينا العمل بما يطلبه وما يقتضيه،
لنكون على بينة من أمرنا، ولسير على هدى خالقنا، الذي أنزل إلينا
الكتاب، وبين لنا فيه طرق الصواب، وجعله سلاحاً لنا محارب به
أعداءنا، وحجة لنا على كل من خالفنا.

فيا أيها المؤمنون جددوا به أفكاركم، ووجهوا لقراءته أباءكم،
وأتوا بهم إلى المدارس القرآنية، وعلموهم العلوم الشرعية في
المعاهد الدينية، ليلكوا الطريق الصحيحة المرضية، فقد كفى
ماكان من المعلومات المشوهة، التي جرها إلينا سلوك الطرق الزائفة
المموهة، حتى نشأ فينا الشذاذ المستغربون، الذين يزعمون أنهم
على شيء ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ، اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ
ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
الْخَاسِرُونَ﴾^(١) وكل من لم يسلك طريق السلامة، لابد في وقت من
الأوقات أن يقع في الندامة، وأن تأتيه على طول الزمان ثورة عارمة
قوية، دينية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية، تجرفه بقوة التيار، حتى
ترميه في جوف البحار.

والثانية: خطبة نكاح تشمل على الترغيب فيه وبيان أركانه:

وهي هذه:

الحمد لله الذي أباح النكاح، وحرم البغي والسفاح، وخلق من
الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، ورغب فيه في كتابه العزيز وأمر به

(١) سورة المجادلة، الآيتان: ١٨، ١٩.

أمرأ، فقال تعالى في الآية الكريمة الواردة، ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾^(١)، ووعد بالغنى من أخذ في أسابه بقوله: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢)، وَحَيَّه لَنِيَّه - ~~بِهِ~~ - المبعوث من تهامه، حتى قال: «تناكحوا تناسلوا فإني مباو بكم الأمم يوم القيامة»^(٣)، وقال أيضاً: «حب إلى من دنياكم: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»^(٤)، رواه ابن عساكر عن ابن عمر عن خير خلق الله، وبيّن أركانه في نكاح آدم - عليه السلام - فأنزل عند ذلك الملائكة الكرام، وقالوا له - لما دنى من حواء -: مه يا آدم حتى تؤدي لها مهراً، فقال: ومامهرها فقالوا: أن تصلي على خاتم النبیین وإمام المرسلین وأشرفهم قدراً، فأدى ذلك المهر إليها، وتوكل إسرافيل عليها، وخطب الأمين جبريل - عليه السلام - وقبل الزوج لنفسه بالصفحة الصريحة عند التمام، وبعد... إلخ.

والقصيدتان أولاهما في وصايا الشعر لعشاقه:

تَقَرَّبْتُ لِلشَّعْرِ وَحَاوَلْتُ نَظْمَهُ
فَأَبْعَدَنِي عَنْهُ وَغَاتَبَنِي جَهْرًا

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٢.

(٣)

(٤) ورواه الإمام أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي. حديث حسن (مختصر شرح الجامع

الصغيف) ج ١ ص ٢٥٠.

فَأَيَّقَنْتُ أَنِّي لَسْتُ أَحْسِنُ صَوْغُهُ
 بِغَيْرِ الْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي الَّتِي تُقْرَأُ
 فَمَارَسْتُ كُلًّا مِنْهُمَا بِعَيْنِيَّةٍ
 وَبَخَبْتُ لَهُ أَغْطِيتُ مِنْ وَقْتِنَا ذَمْرًا
 وَلَا زَمْتُ أَشْغَارَ الْمُحُولِ قِرَاءَةً
 وَحِفْظًا لِكَيْ تَبْقَى لِحَاجَتِنَا ذَمْرًا

إِلَى أَنْ أَتَى عَفْوًا بِغَيْرِ تَكْلُفٍ
 وَقَالَ لِي أَنْطِقْ بِي وَلَا تَرْكِبْ عُشْرًا
 وَجَانِبَ غَرِيبِ اللَّفْظِ ثُمَّ رَدِّيلَهُ
 وَخُذْ وَاضْحًا مُسْتَحْسَنَ الذَّوْقِ لِلْقُرَا
 وَرَكِّبْ تَرَاجِيبَ الْعَرُوضِي دَائِمًا
 بِجَوْدَةٍ تَغْيِبُ وَوَرْدٍ خَلَا ذِكْرًا
 وَخَانِزٍ مِنَ التَّعْقِيدِ وَالْحُسُو مُطْلَقًا
 وَمِمَّا يَغَابُ فِي الْقَوَافِي الَّتِي تُتْرَأُ
 تَكُنْ عِنْدَ ذَا بِجَوَادِ شُغْرِ يَرْوَمُهُ
 مِنَ الْأَذْيَاءِ ذَوْقٌ مَنْ يَغْرِفُ الْقُدْرَا

وَإِنْ تَسَائَلْتُ فِي تَرَاجِيبِ لَفْظِهِ
 بِنُوعٍ مِنَ الْإِبْدَاعِ فِيهَا يَكُنْ ذُرًّا
 وَيَسْحَرُ عُقُولَ السَّامِعِينَ بِأَسْرِهِمْ
 وَيَنْبِي الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِهِ حُرًّا

وَتَظْهَرُ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْفَصَاحَةُ
فَأَقْضُ أَهْلَ الشَّعْرِ أَحْسَنَهُمْ شِعْرًا
«وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»
فَمَنْ نَالَهُ يُضِيحْ لَدَى عَصْرِهِ بَذْرًا
عَلَيْكَ بِمَا عَدَّ قَالَهُ الشُّعْرُ مَا هُنَا
فَتِلْكَ وَضَائِعُهُ لِمُشَاقَبَةِ طُرَا
أَتَيْتُ بِهَا لِلرَّاعِبِيِّنَ لَدَى الْأَدَبِ
لِيُعْطُوا إِلَى الْأَشْعَارِ مِنْ حَظِّهَا قَلْبًا
فَفِي الشُّعْرِ تَبْدُو الْحِكْمَةُ الْفَلَسَفِيَّةُ
إِذَا زَانَ الْقَافَا وَتَبَيَّنَا حَوَى سِرًّا

تمت

وعدها ستة عشر بيتاً

والثانية في دواعي الشعر ووسائله وكيفية صوغه:

دَعَانِي لِنَظْمِ الشُّعْرِ تَتْرِيهِ خَاطِرِي
وَقَضْدُ التَّنْبِي عَنْ وَرُودِ الْخَوَاطِرِ
وَمَيْلِي لِمَنْظُومِ الْكَلَامِ سَجِيَّةُ
وَتَجْرِيْبُ فِكْرِي فِي اقْتِنَاصِ الْجَوَابِرِ
فَمَارَسْتُ أَشْعَارَ الْبُصَيْرِيِّ أَوَّلًا
وَأَشْعَارَ نَجَلِ الْقَارِضِ الْمُتَوَابِرِ
وَصِرْتُ بِأَشْعَارِ الْخَرِيرِيِّ مُفْرَمًا
وَمَا قَدْ بَدَا مِنْ عَشْرِ فِي الْمَقَاحِرِ
وَمَا قَالَهُ الْبَهَا زُهَيْرٌ وَمَا أَتَى
بِهِ الْمُتَنَبِّي فِي خَبِيرِ الْمُخَاضِرِ

وَهَمْتُ بِشِعْرِ الشَّارِفِ الْمُتَقَلِّبِ
لَدَى شِعْرِهِ فِي رَأْيِ أَهْلِ الْبَضَائِرِ
كَذَاكَ بِشِعْرِ الْمَهْدِيِّ الْمَتَمِّزِ
بِأَحْسَنِ صَوْغٍ لِلْكَلَامِ الْمُفَاصِرِ

فَمِنْ شِعْرِهِمْ قَدْ تَمَّ تَدْرِيبُ خَاطِرِي
وَطَالَبْتُ بَنِي نَظْمِ جَيْشِ الْمَسَاجِرِ
فَقُلْتُ أُرْخِي قَالِ هَيْهَاتَ قَبْلَ أَنْ
تُنَظَّمَ جَيْشًا مِنْ بَنَاجِ الْخَوَاطِرِ
فَقُلْتُ لَهُ ذَا يَبْتَغِي الصَّبْرَ قَالِ لِي
هَلْ انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِلضَّائِرِ

لِذَاكَ أَخَذْتُ مِنْ خَيْبَةِ حِفْظِنَا
كَرَائِمَ الْفَاطِ رَسَتْ فِي الدُّخَانِ
وَوَارِثَتُهَا عَلَى فَعُولِنِ مَفَاعِلُنِ
وَأَبْدَلْتُ مَاخَافِي بِغَيْرِ الْمَفَاصِرِ
وَفِيهَا تَصَرَّفْتُ بِحُسْنِ صِبَاغَةٍ
وَتَضَمُّنٍ مَعْنَى مِنْ قَبِيلِ النُّوَادِرِ
وَتَضَمُّنٍ مَالِيٍّ غَرِيبًا كَأَنَّهُ
غَرِيبٌ بِتَرْكِيبٍ عَجِيبٍ وَشَاجِرِ
إِلَى أَنْ غَذَتْ شِعْرًا بِوَرْنٍ مُنَظَّمِ
وَقَافِيَةٍ جَاءَتْ مِنَ الْمُتَوَاتِرِ

وَصِرْتُ أَقُولُ الشُّعْرَ دُونَ تَكْلِيفٍ
وَأِنْ كُنْتُ عِنْدَ النَّاسِ لَشْتُ بِشَاعِرٍ
لَأَنْتِي مَا أَعْظَمْتُهُ كُلَّ فِكْرٍ بِي
وَلَا صِرْتُ مُهْتَمًّا بِهِ فِي الْمَحَاضِرِ
وَلَكِنَّهُ قَدْ جَاءَ عَفْوًا كَمَا أَتَى
بِمَوْهَبَةٍ لِلشَّاعِرِ فِي الْبِصَائِرِ

تمت

وعدها : ثمانية عشر بيتاً

المصادر والمراجع

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - أدب الدين والدنيا - لأبي الحسن الماوردي - المطبعة
الأميرية بالقاهرة .
- 3 - التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول - للشيخ منصور
علي ناصف - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- 4 - رياض الصالحين - للإمام أبي زكريا يحيى النووي - دار
الكتاب العربي - بيروت .
- 5 - جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء العرب - للسيد أحمد
لهاشمي - مطبعة حجازي - القاهرة .
- 6 - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع - للسيد أحمد
الهاشمي - دار إحياء التراث العربي .
- 7 - ديوان المتنبي بشرح العكبري - دار المعرفة - بيروت .
- 8 - ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار
المعارف .
- 9 - شرح الأرجوزة المسماة بعقود الجمان في علم المعاني
والبيان للإمام جلال الدين السيوطي - بدون مكان وتاريخ الطبع .

- 10 - وبهامشه شرح الجواهر المكنون لأحمد الدمنهوري .
- 11 - شرح السعد المسمى مختصر المعاني - للعلامة سعد الدين التفتازاني - تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة علي صبيح وأولاده .
- 12 - شرح عقد اللآلي في علم الوضع - للعلامة عبد الملك بن عبد الوهاب الفتني - المطبعة الشرقية .
- 13 - فيض القدير شرح الجامع الصغير - للعلامة المناوي .
- 14 - القاموس المحيط - للفيروز آبادي .
- 15 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - لضياء الدين بن الأثير - دار النهضة - مصر .
- 16 - مختار الصحاح للإمام محمد الرازي طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب .
- 17 - مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي - لمصطفى محمد عمارة - دار إحياء الكتب العربية .
- 18 - المصباح المنير للفيومي .
- 19 - مقامات الحريري - للعلامة أبو محمد القاسم بن محمد الحريري البصري - المكتبة الشعبية - بيروت .
- 20 - مقدمة بن خلدون - للعلامة ابن خلدون - دار الكتاب العربي - بيروت .
- 21 - كتاب الصناعتين - لأبي هلال العسكري - تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - ط . عيسى البابي الحلبي .

الفهرس

- 5 - التعريف بمؤلف سلم الإنشاء بإيجاز
- 17 - مقدمة في بعض مبادئ الفن العشرة
- 21 - باب أصول الإنشاء وشروطه
- 57 - باب محاسن الإنشاء وعيوبه
- 79 - تكملة في طبقاته وأقسامه
- 89 - الطريقة الثانية إلى تعلم الكتابة طريق الاطلاع والحفظ
- 99 - خاتمة في فنون الإنشاء
- 110 - المصادر والمراجع

التعريف بمؤلف
سلم الانشاء بإيجاز



اسمه:

هو محمد بن مفتاح بن محمد قريو،
(بكسر القاف والراء المشددة).

تاريخ ومكان ميلاده:

ولد بالتاريخ الهجري قبل فجر يوم الجمعة
26 / جمادى الأولى 1332 هـ. الموافق
لاواسط مايو 1914م، في مصراتة بالفيران
الفربية.



الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
مصراتة الجماهيرية العظمى